

مواقف إنسانية مع شيخ المؤرخين الجزائريين (1) الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله

الأستاذ الدكتور محمد النمين بلغيث

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1

3- مصادرة الأراضي والمنازل والممتلكات: وذلك بالنسبة إلى من دافع عن وطنه أو عائلته أو دينه. وهذه نقطة يمكن التوسع فيها، وعليها شواهد كثيرة، إذ أُعطيت الأراضي والممتلكات المصادرة إلى الأوروبيين المجلوبين بطريق الإغراء للعيش في الجزائر.

4- الحكم بالإعدام أو النفي أو بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة والغرامة الثقيلة: على من دافع عن وطنه أو دينه أو عرضه. ولا سبيل إلى حصر حالات كهذه الآن، لكن يمكن ذكر مصير الشيخ بوزيان وابنه وأبي موسى الدرقاوي في الزعاطشة، ولالة فاطمة في بلاد القبائل، والشريف بوشوشة، وشريف ورقلة، والحاج الصادق في الأوراس.

5- الاعتداء على حرمة الموتى: فقد ثبت أن مقابر المسلمين قد جرفت الآلات وسويت بالأرض وأقيمت عليها طرق ومبان، مثل ما حدث في السنوات الأولى للاحتلال للمقبرة التي كانت في باب الوادي. كما وقع نبش القبور والتجارة بعظام الموتى مع عملاء بمرسيليا لصناعة المساحيق وأنواع من السكر.

6- إن ذاكرة الشعب لا تزال واعية لما حدث أثناء الثورة التحريرية من تعذيب وتقتيل وخطف وحشد وتخريب للمنازل واعتداء على الحرمات. ويكفي الرجوع إلى الوثائق والشهادات الوطنية وإلى ما كتبه بعض الفرنسيين والأجانب لكي يعرف شعبنا حقوقه التي لا يمكن التفريط فيها.

7- إن عسكريين من أمثال كلوزيل وبوجو وبيليسي وبوسف وسان طارنو وكاروبيي [الذي أحرق ناره] وهيربيون، ثم دي غيدون، وبيجار، وماسو وسلان إلخ... وكذلك فرقة اللفييف الأجنبي، ومنظمة الجيش السري وغيرهما، جدير بالجزائريين ألا يتسامحوا معهم وألا ينسوا أفعالهم أبداً، وأن

من أجل أحفادنا بقلم شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله (2):

لقد اطلعت باهتمام على جهودكم من أجل إعادة الاعتبار للإنسان الجزائري، الذي عانى من إرهاب وعنصرية الاستعمار الفرنسي عبر قرن وربع، وإني كمواطن وكأستاذ في التاريخ أبارك جهودكم وأتمنى لها النجاح. بهذه المناسبة أود أن أشير إلى أن تاريخ الجزائر خلال العهد الاستعماري مليء بالشواهد على معاناة شعبنا من الجرائم التي ارتكبت في حقه. ومن الممكن ذكر بعضها فيما يلي:

1- الإبادة الجماعية (3): وقد وقعت في العديد من المناسبات نذكر منها [أ] مجزرة غار الظهرة 1845، حيث اختنق أثناءها بالدخان أكثر من ألف شخص في ذلك الغار على يدي الجنرال بيليسي، عن عمد وسبق إصرار [ب]. مجزرة الزعاطشة 1849، التي احترقت بمن فيها من السكان عن طريق نسف المنازل، على يدي الجنرال [هيربيون] [ج]. إحراق القرى والمدامر بمن فيها من القبائل سنة 1857، لا سيما في ناحية الأربعاء ناث إيراثن، وكذلك تخريب البيض سيدي الشيخ على سكانه خلال ثورة 1864 [د]. إبادة جماعات كاملة من سكان سطيف وخراطة وقالمة سنة 1945.

2- النفي الجماعي: تشهد السجلات على إجبار الجزائريين رجالاً ونساءً على مغادرة وطنهم والعيش في جزر نائية مثل سان مارغريت، وكالدونيا الجديدة، وكيان وغيرها. وقد نفي آخرون، فطلبوا العيش في بلاد عربية وإسلامية مثل الإسكندرية والحجاز وبلاد الشام. وهناك من غيبتته المنافي، فلم يسمح له بالرجوع إلى وطنه أبداً. وهناك أطفال أُخذوا كرهائن لإجبار آبائهم على الاستسلام مثل أولاد ابن رويلة، وابن علال إلخ... بعد حادثة الزمالة الشهيرة 1843.

فمن أجل الأبرياء الذين اختنقت أصواتهم في السجون والمنافي البعيدة، وهم في أحر الشوق إلى ذويهم ووطنهم، ومن أجل المواطنين الذين استشهدوا دفاعاً عن الشرف والأرض والدين، ومن أجل الجزائريين الذين افتقروا بعد غنى وذلوا بعد عز نتيجة مشاركتهم في تحرير بلادهم خلال العهد الاستعماري، أضمت صوتي إلى صوتكم وأضع يدي في يدكم وفي يد كل من يعمل على نشر الوعي بالحقوق المنسية بين المواطنين، حتى لا تحاسبنا الأجيال القادمة على أننا كنا جبلاً بليداً أو غيبياً، أو فاقداً للذاكرة التاريخية. "وما ضاع حق وراه طالب".

أبو القاسم سعد الله الجزائر في 13 جوان 1990م

المقدمة العامة:

كتبت دراسة مطولة حول الإمام عبد الحميد بن باديس في العدد الخاص لمجلة الموافقات الغراء التي كان يصدرها المعهد الوطني العالي لأصول الدين، كلية العلوم الإسلامية حالياً، وختمتها بقولي وخلاصة القول: إن الإمام عبد الحميد بن باديس، المسلم الثائر والرجل القرآني شخصية ملتزمة بخطها الفكري، وهو مصلح، صاحب نظرة مستقبلية تنبئ عن إخلاصه لدينه وعرويته، وجزائريته وانتمائه إلى أمة شريفة تعيش في عصره السقوط الحضاري، والغزو الفكري، والاستلاب الطرقي والتخلف الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وهو ذلك "الرجل الذي مد الجسور ومنت الحبال التي ربطت بين جيل عصر الإصلاح والتطوير، وجيل النصر والتمكين ولكن بعد استقلال بلاده الجزائر كعبة المجاهدين قُطعت الحبال ونُسفت الجسور" (4).

فهل نقدر في هذا الزمن الرديء أن ننصف الرجل، ونقرأ دوره العلمي في بناء هذه الأمة، أم علينا أن نسكت، سكوت الجبناء عبيد الدرهم والدينار، الذين ركنوا إلى الأرض، واستسلموا للعبودية، أين نحن من أشواق ابن باديس إلى الحرية، وأين نحن من هذا الرجل الرسالي وقضايا العرب والمسلمين؟

كانت هذه هي الخلاصة، التي ضمنها فكرة شيخ المؤرخين وكشفه عن المفارقة الكبيرة بين جيل الإمام الشهيد عبد الحميد بن باديس وجيل التمكين، واليوم يغادرنا هذا

يلتمسوا مل الطرق للحصول منهم على حقوقهم المعنوية والمادية. هذا عن الجرائم في حق الأفراد والجماعات.

أما الجرائم في حق الدولة فتتمثل في الاعتداء على السيادة والاستيلاء على خزائنها وانتهاب ما فيها من أموال ومجوهرات، وعلى أملاك الجيش، من ثكنات وقلاع وحصون وسفن حربية وتجارية وذخائر وثروات. وهناك جرائم ضد مقدساتنا ومقوماتنا وأخلاقنا مثل:

أ- هدم المساجد والمؤسسات الدينية وتحويلها إلى أغراض دينية غير إسلامية أو إلى مصالح عسكرية وتجارية.

ب- الاستيلاء على الأوقاف والأحباس الإسلامية الكثيرة، التي كانت مصدراً لنشر العلم وإعانة الفقراء وتوفير التكافل الاجتماعي.

ج- فرض التجهيل المقصود الذي دام عشرات السنين.

د- المعاملة غير الإنسانية بتسليط [قانون الأهالي] الاستثنائي.

هـ- إجبار الشباب على التجنيد في حروب دولية لا تخدم وطنهم في شيء.

و- نشر إرهاب "ثقافي" يعتمد على نظرية التفوق العنصري والإساءة إلى كل ما هو عربي من لغة وتراث وتاريخ وجنس، وإشاعة كلمات وتعابير بذينة لوصف شعبنا مثل (البيكو) و(الراطون) و(الموكيرة).

ز- الاعتماد على سياسة "فرق تسد" في الهيمنة والتسلط على السكان.

ح- نهب الوثائق الأرشيف والمخطوطات الوطنية.

إن الشعب الذي يتسامح في حقه شعب بليد، فاقد للحس التاريخي، وحاشا شعبنا أن يكون كذلك. إني على يقين من أنه حتى ولو تسامح جيلنا نحن الآن، فسيأتي جيل آخر، يطالب بهذا الحق كما يحاسبنا نحن الذين تسامحنا في حقه، في وقت يعد فيه التسامح ببلادنا وإهداراً للوعي التاريخي، بل قد يكون خيانة.

انتصرت علينا قوة "التقدم" كما يسميها الدكتور فارنبيه في عمله "الجزائر أمام الإمبراطور"⁽¹⁾.

لعلني لا أبالغ فأرى من خلال تجربتنا التي تزيد عن ربع قرن ونحن نقرأ ما ينتج الأستاذ الكبير سعد الله فأقول إنه المؤرخ الموسوعي، متعدد المشارب والاهتمامات، فقد قرأنا له ما كتب في مجلة الآداب وقد كان شاباً يافعاً يشارك في التأسيس للقصيدة الحرة، فهو بحسب النقاد من أوائل الشعراء الجزائريين الذين كتبوا القصيدة الجديدة، خارج دائرة القصيدة التقليدية العمودية، كما شاهدنا همته وهو يقوم بتدوين تاريخ الجزائر بداية من 1830 إلى غاية 1945م، بوعي نادر يسابق به الزمن وهذا في عمله الموسوعي "الحركة الوطنية الجزائرية" كما ساهم مساهمة بالغة في تسجيل وتدوين تاريخ الجزائر الثقافي بداية من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن العشرين (1954م).

ولعل المصاب الجلل، والعملاق الذي هوى سنتذكره الجزائر في حولياتها، لأنه قام بواجبه كأبي رجل شريف خدم أمته.

لهذا أقدم هذه المواقف الإنسانية التي عرفت وأنا أتعامل مع شيخ المؤرخين الجزائريين من بعيد، حتى لا أقول إنني من أصفياء المؤرخ أو المقربين منه، لكن التاريخ شاهد علينا والأيام ابتلاء، والله خير الحاكمين.

هذه شهادتي وهذه مواقفي التي عرفت فيها شيخ المؤرخين وقوة الباحثين ومؤرخ الأجيال خلال ثلاث وثلاثين سنة خلت، لعل القارئ والمحب واللود معاً جميعاً يقرؤون زفرات قلب جريح فقد سنداً عظيماً والعظمة لله سبحانه وتعالى، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، ولنا في آثار هذا العملاق الذي هوى المواساة من الموت والموت حق.

الجزائر المحروسة في 03 ربيع الأول 1435هـ/05 يناير،
جانفي 2014م

الموقف الأول: تسمع بالمعيدي:

بعد نجاحنا في مسابقة الدخول إلى نظام الماجستير في شهر نوفمبر 1980م انتظرت أنا القادم من قسنطينة مع زملائي لأرى شكل المؤرخ الكبير، وهذا في أول حصة

العملاق الذي هو الخبير بأبناء فرنسا الاستعمارية والأوفياء من الخدم الذين ساروا في ركاب الاستعمار⁽⁵⁾.

ولقد تعدد المتعاونون مع رجال الاحتلال من حيث المهمات التي تكفلوا بإنجازها فقد ساروا في ركاب الاحتلال مسيرة طويلة فكان منهم المترجم من الداريجة الجزائرية إلى اللغة الفرنسية، ومنهم من كان يترجم لأسياده زفرات وتهدات أبناء قومه ومنهم من تكفل بنقل الكتب والمخطوطات العربية إلى اللغة الفرنسية، بل منهم من أرخ لوطنه بطلب من بعض ضباط المكاتب العربية التي كانت تمثل رواد الدراسات الأنثروبولوجية أو رواد علم الاجتماع الاستعماري، ومن هؤلاء الرواد الذين ساروا في ركاب الاستعمار الفرنسي، تكون جيل من النخبة الجزائرية⁽⁶⁾.

ومن الأهمية ذكر الدمار الشامل الذي عرفته الجزائر، وهذا من خلال احتلال ونهب المدن الجزائرية التاريخية، كقسنطينة وعنابة، وبجاية، والجزائر العاصمة ووهران وتلمسان ومعسكر، إلى غاية 1848 أي عند انتهاء المقاومة الرسمية وجهاد الشعب الجزائري في العقدين الماضيين قبل السنة المذكورة، فقدت الجزائر ما يزيد عن 100/10 أي 300 ألف من سكانها كما ذهب إلى ذلك شيخ المؤرخين الجزائريين⁽⁷⁾.

ولعل من حَبَّبَ إلينا الجزائر والتدوين في أدقَّ خصوصياتنا الشخصية، هو المحتفى به شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله حفظه الله.

لقد كان يشجعنا ولا يزال على الكتابة ونحن في مرحلة الطلب، وقد لا أفي بحق الرجل فهو بموسوعته الراقية "تاريخ الجزائر الثقافي" قد بنى للجزائر هرمًا تقتخر به الأجيال، فقد تمثل لي الدكتور سعد الله في همة الرجال الكبار، وحسد المؤرخ الرسالي كههم إخواننا المصريين، فكل واحد فيهم يرى نفسه قادرًا على أن يكون هرمًا جديدًا يضاف إلى أهرامات مصر الخالدة.

هذه المهمة العالية هل هي التي تدفع شيخ المؤرخين إلى العمل والمشاركة في إعادة عصر التدوين من جديد إلى وطنه الصغير الجزائر خاصة وعالمه العربي والإسلامي عامة. لأنه يدرك حقيقة التاريخ، فنحن نتساءل معه كيف

الحاذق عدم استجابتنا للمحور الخاص بالتصوف الذي درسه لنا في الحمص الأولى، فكانت الأسماء والعناوين الأولى عن دور الشيخ زروق، و"رسالة في التصفيق"، فقال لنا على الفور اعتقد أن موضوع التصوف لا يروق لكم، هل ترغبون في الاستماع إلى التاريخ في العهد العثماني، فبدأ يحدثنا عن التاريخ والمؤرخين، فرأى تَجَهُّماً وقلّة راحة بل ربما فهم الأستاذ أنهم أخطأوا التقدير في انتخابنا لنكون مشروع مجموعة من المؤرخين، قال لنا على الفور وبدارجة جزائرية "الظاهر يا جماعة ما هناش"⁽¹⁰⁾.

فرغم سلطة شيخ المؤرخين والمكانة التي يجدها في نفوسنا، أعجبتنا ردود الفعل الأولى عن جهلنا، فضحكنا بصوت واحد وابتسم معنا ثم واصل بعد ذلك يدرسنا في أسلوب الحكيم المتبصر بمسؤولية المؤرخ التي يحس بها وهو يدخل علينا كل أسبوع ولمدة أربع ساعات كاملة من الساعة التاسعة صباحاً إلى غاية الواحدة تقريباً وهو يصل ويجول دون كلل أو ملل مما يدعوننا إليه في مادة المنهجية وتاريخ الجزائر في العهد العثماني.

الموقف الثالث: قصة التخلي عن إشراف سعد الله:

أما الموقف الذي أتذكره جيداً فيتعلق باختيار التخصص، فبعد اقتراب السنة التمهيدية من الانتهاء، وفي حدود بداية السداسي الثاني اتجه معظم الطلبة للتسجيل مع الدكتور سعد الله، فرأى أنه ينوء بحمل كل هذه الأبحاث، وكنت من بين الأوائل الذين قبل الأستاذ الإشراف عليهم وتأطيرهم، فكان أول ما سألني: ما اسمك؟، قلت له: بلغيث محمد الأمين فقال لي من هذا اليوم أنت اسمك محمد الأمين بلغيث، لأن العرب يبدؤون بالخصوص وينتهون عند العموم المشترك بين الأفراد في العائلة الواحدة، ثم قال: هل تعرف أبو الغيث القشاش، أو بلغيث القشاش، قلت أنا لا أعرف عالماً أو علماً بهذا الاسم، وتركني لحالي، ثم قال ابحث عن حياة وآثار الجنرال يوسف، فتوكلت على الله سبحانه وتعالى، وكان رفيقي المتزن والهادئ في البحث، هو يوسف مناصرية، الذي يشتغل على كتب بول آزان [Paul Azan]⁽¹¹⁾ الخاصة بتاريخ الجيش الفرنسي زمن الاحتلال، فقد كنا لا نترك المكتبة الجامعية إلا أوقات الصلاة والأكل

بالخروبة، فلما وصل إلينا قلت لهم هل هذا هو سعد الله، وبصوت خافت، وكنت أنتظر أن أرى عملاً في جسده أشبه بالصورة الضخمة التي رسمتها في خيالي قبل وصولي إلى العاصمة، فكان قد سمع ما قلت فكان رده على الفور وبابتسامة الواثق من نفسه: "تسمع بالمعيدي خير من أن تراه" فقلت على الفور معاذ الله يا أستاذ.

أذكر للتاريخ أن المسابقة الوطنية التي أشرف عليها خيرة أساتذة التاريخ في الجزائر، قد أفرزت أحسن مجموعة من الباحثين على المستوى الوطني [هامش]، وكان أغلب الناجحين في المسابقة من جامعة الجزائر، وأذكر أنه لم ينجح طلاب جامعة وهران، وأما جامعة قسنطينة فقد نجح العبد الضعيف [محمد الأمين بلغيث] وجئت في الترتيب الثاني بعد الأستاذ أحمد شريقي، وأما الثاني من قسنطينة فهو الأستاذ عبد الحميد خالدي⁽⁸⁾، الذي نجح بالإنقاذ، ولكنه التحق بجامعة بغداد بالعراق الشقيق بمعية [محمد لحسن زغدي، ومسعود خرنان، وإبراهيم بحاز] ولم ينتظم معنا، فكان الدكتور سعد الله المتخلق الصارم هو المكلف بغيابات الطلبة، وفي السداسي الأول أقصى ثلاثة من سبعة وعشرين طالباً على ما أذكر ومنهم الأستاذ نور الدين ميهوبي من المدينة رغم أنه تغيب بعذر شرعي، لكن سعد الله كان يعلم تحايل الطلبة على القانون وهذا بغياهم حصتين في كل مادة، وكانت مقبولة عند بعض الأساتذة لكن شيخ المؤرخين قال لنا إن هذه يجب أن ينساها الطلبة فثلاث غيابات في كامل السداسي وفي كل المواد تقصي الطالب نهائياً وعليه أن يفكر في إعادة المسابقة من جديد.

الموقف الثاني: الدفعة الأولى لقسم الماجستير على المستوى الوطني⁽⁹⁾:

بدأنا ندرس عند شيخ المؤرخين مجموعة متكاملة متكونة من حوالي سبعة وعشرين طالباً كما ذكرت آنفاً، ونحن نمثل أول مجموعة في أول دفعة لنظام الماجستير الذي عوض نظام الدراسات العليا القديم بالجامعات الجزائرية، كان يدرسنا من النسخة المخطوطة بقسميها الأول والثاني من موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي الذي سيظهر في مجلدين على مطابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع عام 1982م، ورأى المدرس

معهما لوقت قصير للتعرف ببهو نزل ألبير الأول، بالجزائر العاصمة، ثم غادرت المكان، ومنذ ذلك الحين تتبعا نشاط هذا الباحث السعودي، الذي كلمته وعزيتة في رحيل شيخ المؤرخين صباح اليوم الثاني من شهر يناير للعام الجديد 2014 ووعدي بإرسال صور ضوئية لمراسلاته مع شيخ المؤرخين لإتمام المشروع الذي انفتحت فيه مع واحد من أصفياء المغفور له بإذن الله شيخ المؤرخين وقوة الباحثين أبو القاسم سعد الله طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه، من أجل نشر رسائله إلى أحبائه⁽¹⁴⁾.

الموقف الخامس: المؤتمر الدولي الأول للحضارة الإسلامية بتلمسان:

حدث هذا الموقف في شهر ماي من عام 1987م، حيث نظمت وزارة الثقافة مؤتمراً دولياً كبيراً تحت عنوان الحضارة الإسلامية بمدينة تلمسان عاصمة الزيانيين، وكنت قد أتممت رسالتي للماجستير منذ مدة طويلة وانتظرت موعد المناقشة، فجاءت فرصة التقاء أعضاء اللجنة بتلمسان وهم: الأستاذ إبراهيم فخار من جامعة وهران، الأستاذ المشرف عبد الحميد حاجيات، الأستاذ محمد الصالح مرمول من جامعة قسنطينة، والدكتور موسى لقبال من العاصمة، فكنت أسعى من أجل اتقاغهم النهائي على موعد واحد للمناقشة، وأثناء تحركي بسرعة بين الأساتذة اصطدمت بواجهة زجاجية داخلية ليلا بفندق الزيانيين، فجرح الزجاج خاصري الأيسر، وشج رأسي فكان أول من حملني إلى كرسي لإسعافي عند مقصف الفندق هو شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله، فطلب من النادل كحولا، فجاءه بزجاجة، وبدأ يضم جرحي بما في الزجاج من كحول ثم سأله فجاء ما هذا قال له "يا الشيخ هذا ويسكي"، سلمه الزجاج، وقال شيخ المؤرخين بنرفزة، هل تعلم أن هذا الإنسان الموجود أمامي لم يذق في حياته خمراً فتقوم بإسعافه بزجاجة خمر، فاعتذر النادل، وهو يتعجب من هذا السلوك الذي رآه غريباً، ثم حملني زميلي مسعود كواتي بمساعدة سعد الله إلى سيارة سياحية من أجل الكشف علي وحقتي بحقنة مسكنة ومذهبة للخوف كما قالوا⁽¹⁵⁾، ثم عدت بعد ساعة من زمن من مستشفى تلمسان، وتناولنا طعام العشاء، ثم برمجت وزارة الثقافة والسياحة ليلة موسيقية أندلسية، وصادف وجود فرقة تونسية فولكلورية،

في مطعم الحي الجامعي بشارع عميروش، أو باجي مسعودة، وبعد حوالي شهر من المحاولة وجدت أن معظم أو قل كل ما هو مكتوب عن الجنرال يوسف الذي يسميه سعد الله صراحة يوسف اللقيط مكتوب باللغة الفرنسية⁽¹²⁾، وكنت أولاً قد عرفت مستواي الحقيقي في اللغة الفرنسية والأمر الثاني كنت أجد حرجاً كبيراً في أن ترتبط حياتي بلقيط خائن، وفي أول فرصة طالب سعد الله رحمه الله من بعضنا التوجه إلى تخصصات أخرى نظراً للعدد الكثير للذين رغبوا في التسجيل معه، فكنت من الأوائل الذين استجابوا لهذا النداء، لأنني في حقيقة الأمر لم أجد نفسي قادراً على مواصلة العمل بهذه الفرنسية البسيطة التي لا تزيد عن مستوى الماصوات [البنائون عندنا]، لهذا سيرتبط مصيري في التخصص الدقيق بالدراسات الأندلسية ومع المؤرخ الكبير عبد الحميد حاجيات حفظه الله.

الموقف الرابع: لقاء الباحث السعودي مازن صلاح مطبقاني:

هذا الموقف وقع لنا في حدود نهاية 1982م.

هذا الموقف شريكي فيه الأستاذ الباحث مسعود كواتي المتخصص في تاريخ الأقليات، واليهود بصفة أخص، كنا نمشي في بداية شارع الشهيد محمد العربي بن مهدي بالجزائر العاصمة، في الاتجاه نحو مكتبة العالم الثالث، ومكتبة النهضة لميموني عبد القادر، ودار الكتاب، فإذا بنا نشاهد الدكتور سعد الله، وهذا طبعاً بعد حوالي شهر من تسجيل أبحاثنا مع الدكتور عبد الحميد حاجيات، فذهبنا إليه مباشرة، فوجدنا معه شخصية مشرقية، فقلنا له نساعدك يا أستاذ فرفض بإصرار فقلنا له معاً يا أستاذنا نساعدك فقط لأنك أولاً لست مشرفنا ولن نتناقشنا مستقبلاً، وهذه طبيعة خاصة في الدكتور سعد الله، فهو لا يكلف طلابه بحمل حقيبتهم حتى لا يحسبهم أنه يستغلهم ك بعض الأساتذة غفر الله لهم، وحينما وصلت الرسالة وفهم المنطلق قال: ساعدا الأستاذ، وتوجهنا رأساً لحمل معظم أقال الضيف المشرقي، وجلسنا نتبادل الحديث مع الدكتور سعد الله، وعرفنا بضيفه الكريم فقال هذا باحث سعودي، اسمه مازن صلاح مطبقاني⁽¹³⁾ وأعجبت الدكتور سعد الله صراحتنا ويقينا

فقد سعدت بالرسالة التي حملها إلى الابن البار يوسف مناصرية، وسعدت بما جاء فيها من أخبار شخصية وعلمية، وكان سروري عظيمًا عندما اكتشفت أنك تشد طريق البحث والتتقيب في الأرشيفات والوثائق الوطنية والأجنبية، فبلدنا في حاجة ماسة إلى أمثالك من الذين يعملون ويبحثون ويوصلون المعرفة إلى الجيل، بل الأجيال الصاعدة التي تتلاعب بها الزعانف الذين لا نمة لهم ولا عهد. وقد ذكرت شيئًا عن الفتوى التي سعى [جول كامبون] إلى إذاعتها عن طريق [كورتلمون جيرفي] كما أذاع بوجو الفتوى التي حصل عليها- كما قال- من مشايخ بعض الزوايا، وجامع القبروان والأزهر والحرمين الشريفين، وقد تحصلت على نسخة من رحلة [كورتلمون] إلى الحجاز، وكان كتاب ديبون وكوبولاني قد نشر خلاصة هذه الفتوى، ولكني لم أطلع عليها [في نصها العربي] (17) فإذا كان لا يزعجك فإني سأكون ممنونًا أن تطلعني على نسخة منها.

أظن أن إبراهيم سراج كان شاعرًا أيضًا، وأذكر إذا لم تخني الذاكرة أنه قرظ كتاب [أقوم المسالك] لخبر الدين التونسي، وقد أشرت إلى ذلك في دراسة قصيرة عن أثر هذا الكتاب في الجزائر، وهي منشورة في أبحاث وآراء [ج3، أو ج4] (18) لكنني لم أطلع على حياته في الجزائر والشرق، ودوره، لماذا لا تكتب أنت عنه دراسة تعريفية (19)، سيما إذا كانت حياته تهم الجزائر بالخصوص، ولعلك فعلت ذلك في كتابك تاريخ الجزائر المعاصر.

لا شك أن الاقتراب من التاريخ المعاصر تجعلك أكثر حيوية من الناحية الفكرية، ذلك أن أفكاره ونظرياته ما تزال غير مستقرة، ولذلك يمكن "للجميع" (20) أن يدلوا بدولهم فيه بخلاف الإسلامي [الوسيط] والمغاربي خاصة، ومهما كان الأمر فإن كل التاريخ مفيد وفيه عبرة ولذة وحكمة.. إذا كان لي أن أنصحك بشي فهو أن تكتب من وحي ذاتك وبوحي ضميرك ولا تنقد للدعوات والمشاركات "الإخوانية" فهي أبعد ما تكون عن البحث العلمي المجرد من الأهواء، وحاشاك من ذلك. مرة أخرى تمنياتي لك بالتوفيق، ولعل الأخ مناصرية سيذكر لك طرفًا من حالي وحالتي، عصمنا

فتمتع جمهور الأساتذة والمؤرخين برقصة القلّة، وكانت الراقصة فاتنة، فلما بدأت وصلتها رأيت وجوم معظم الأساتذة أما شيخ المؤرخين فقد انسحب من هذا المشهد الخادش للحياء، دون أن يلتفت إليه أحد، ثم خرجت بعده إلى غرفتي من شدة الألم، ولن أنسى هذا الموقف أبدًا وعلى الخصوص ثقته في أن هذا العبد الضعيف كاتب هذه المواقف لم تعرف الخمرة طريقًا إلى فمه، فانزعج شيخ المؤرخين أن يتدوَّقها جسمه عن طريق الأوردة المجروحة.

الموقف السادس: دور المركز الوطني للدراسات والبحث في النشاط العلمي:

عرفت نهاية تسعينيات القرن الماضي نشاطًا معتبرًا مع تأسيس المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ووزارة المجاهدين وعلى الخصوص في عهد الوزير السابق الأمين العام الحالي لمنظمة المجاهدين السيد السعيد عبادو، فكان ملتقى اتحاد المؤرخين بعين صالح مشهودًا وهذا بحضور عينة نوعية من الشخصيات والإطارات والمؤرخين الشباب، وفي هذا الملتقى قدمت مداخلة نوعية ولا أزكي نفسي على الله "والله أعلم بمن اتقى" وكانت المداخلة بعنوان " نماذج من سياسة فرنسا للتوغل في الجنوب الغربي الجزائري وبلاد السنغال، من خلال فتوى قورارة 22 جوان 1893م وهذه مداخلة قدمتها في الملتقى الوطني الذي نظمه اتحاد المؤرخين الجزائريين بالتعاون مع المركز ووزارة المجاهدين بمدينة عين صالح ولاية تمنراست بين 21-23 ديسمبر 1997م. ثم نشرت المداخلة بالعدد الرابع من مجلة المصادر، ولما أخبرني الدكتور يوسف مناصرية بسفره القريب لزيارة الدكتور سعد الله بالأردن، أرسلت معه هدية إلى شيخ المؤرخين تتمثل في مجموعة مجلات وكتب تصورت أنها مقدمة لإعادة مد الجسور مع شيخ المؤرخين بعد طول غربة بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد عودة يوسف مناصرية حمل إلي رسالة ثمينة هي إجابة عن كل ما بنته في رسالتي إلى شيخ المؤرخين، فكان مما جاء فيها (16).

الأستاذ المحترم محمد الأمين بلغيث أبقاه الله ورعاه،

وبعد

الله من الخطأ والزلل، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

[أبو القاسم سعد الله] (21) 27 ذي الحجة 1420هـ - 2 أفريل 2000م

غادر الدكتور سعد الله الجزائر بعيد الأحداث المؤلمة التي عرفت خلال ما اصطلح هو على تسميتها بزمن الفتنة، وبالمناسبة فمواقف سعد الله مما وقع للجزائر من 1992 إلى غاية المصالحة الوطنية واضحة كل الوضوح في "مسار قلم الجزء السادس" ولا يخفي موقفه مما يقع للبلاد وهو في أمريكا دون خوف أو مواربة، وصراحته ونزاهته وحرصه على الحق جلبت له المتاعب من السلطة السياسية العليا في الجزائر، وهذا موضوع طويل كتب فيه بعض أصفائه (22).

وبعد ألم الغربة، عاد من جديد إلى محيطه العربي والإسلامي، حيث تعاقد مع جامعة آل البيت لمدة سبع سنوات كاملة حقق فيها المزيد من السمو الأخلاقي والتواضع، والمساهمة العلمية في الأردن، كما استقيناها من رفيقه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني (23)، وبعد عودته إلى الجزائر مباشرة، أقام لنا وليمة وجلسة شاي رائعة حضرها من السادة العبد الضعيف [محمد الأمين بلغيث] كاتب هذه الوقفات (24)، والأستاذ مسعود كواتي، الأستاذ المغفور له بإذن الله إبراهيم مياسي والأستاذ مديني بشير وربما الأستاذ سيدي موسى محمد الشريف، والدكتور أحمد حمدي، المدير الثاني للمركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م (25). فكان الجو رائعاً بفرحتنا بعودة شيخ المؤرخين الجزائريين، وهنا يبدأ الموقف السادس مع المؤرخ النزيه، فبعد أن أكلنا وشربنا، وتبادلنا الحديث، حدثنا عن التاريخ والمنهج، فأخذ الكلمة وقال إذا كان لي أن أنصحكم هو الكتابة بموضوعية، بعيداً عن الانتصار للنفس والخطب السياسية العاطفية كجيل الحركة الوطنية، وكنت قد أعددت هدية لأستاذي رداً على ما طلب مني في رسالته الموجودة أعلاه، فقلت له أنا شخصياً حينما أحس بأنني بدأت أحب الحياة العصرية، والتبرج [من البورجوازية] أو أنسى فرنسا، أم الشرور كلها (26)، أفتح خزائني فأبدأ في قراءة متون الدكتور سعد الله، خاصة الجزء الرابع من أبحاث وآراء، وأسنتني من كتبه القسم

الخاص بالدكتوراه باللغة الفرنسية، فإنني حينما أقرأ الحركة الوطنية أحس بالنار تحرق فؤادي، وبصورة أخص قلت له حينما أقرأ دراستكم المترجمة عن آداب الأقدام السوداء وبطلهم الكاريكاتوري كاقايوس [cagayous] (27)، [إذ من الواجب على كل جزائري أن يطالع هذا البحث لكي يعرف كيف كانت الثقافة الشعبية الاستعمارية تعامل أباعنا وأجداننا، ونعرف من خلال هذا الأدب الساخر وأهم مصادره هي القصص الرخيصة ذات التوزيع الجماهيري الواسع، وهي المسماة روايات زوج سوردي]، نظراً للطريقة التي تصورون بها فرنسا الاستعمارية وما فعلت بأسلافنا، ثم قلت له هذا هو ما طلبت مني منذ مدة قليلة في رسالتكم التي جاء بها مناصرة فقلت له: هذه دراسة هادئة كما طلبت منا وقدمت له بحثاً متكاملًا مستقيماً عن الحركة السنوسية وهي عبارة عن دراسة وترجمة لوثيقة أصلية حول مراقبة الطرق الصوفية والحركة السنوسية في الجزائر تحديداً وأما الثانية، فهي ما طلبت مني في رسالتكم الأخيرة من الأردن حول النص العربي لفتوى قرارة الشهيرة المؤرخة بتاريخ 22 جوان 1893م (28). ثم طلب في نهاية الحديث من الدكتور حمدي العنوان الإلكتروني للمركز، فقال له بفرنسية سين أش، نون وأخيراً ختمها بشعار الجزائر العالمي، نقطة دز [DZ] فقال له شيخ المؤرخين بدعابة عفوية. [هازيك دز معاهم كلنا نعرفوها]. وغادرننا المجلس الطيب لشيخ المؤرخين وهي ثالث مرة على ما أذكر أدخل بيته بحي [les asphodèles] ليزاسفودال بين عكنون [الجزائر العاصمة] (29).

الموقف السابع: قصة تحلية المؤرخ "أبو القاسم سعد الله بشيخ المؤرخين الجزائريين":

يعود الفضل إلى تنبيهي إلى أهمية تسجيل هذه المواقف مع شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى زميلي الأستاذ محمد رحاي من جامعة سكيكدة الذي يحضر أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف، ومن ضمن محاور أطروحة خصص باباً كاملاً للحديث عن سعد الله المؤرخ، فقال لي يوم النقيته بسكيكدة: [يوم الجمعة 27 ديسمبر 2013م] لماذا لا تكتب مواقفك الشخصية مع الدكتور سعد الله شيخ المؤرخين الجزائريين، لأنني أحتاج إلى معرفة الجانب الإنساني في حياة سعد الله، فقلت له: لمن أراد أن يعرف أدق تفاصيل حياة سعد الله الباحث والشاعر

لأنه من بنى للجزائر هذه الأهرامات الخالدة، تاريخ الجزائر الثقافي، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، وعشرات الكتب المحققة والمترجمة إضافة إلى إبداعاته منذ بدأ يكتب القصيدة الحرة بتونس عام 1947م. هذا التحلية مع وصف فرنسا|يمغول القرن التاسع عشر والقرن العشرين| لصيقة بي في أعماله وحصصي الإذاعية، ولن أتركها حتى ألقى الله سبحانه وتعالى وأنا أقول أن المواطن رقم واحد في هذه البلاد من أيام إنسان تيعنيف، أي من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد إلى إنسان الطاسيلي وجدتهم الخرافية تينهينان إلى اليوم، هو المواطن المؤرخ النزيه الذي حيب لنا الجزائر وكره لنا العودة إلى الجاهلية، مهما كان زخرفها هو مؤرخ الأجيال كما قال صديقي المرحوم إبراهيم مياسي وشيخ المؤرخين، وقدوة الباحثين الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، وجعل قبره روضة من رياض الجنة امتدادها على امتداد بصره يوم كان شاباً يافعاً.

الموقف الثامن: في ملتقى مؤرخ سوف مانعة الهارب الشيخ محمد بن عمر العدواني:

يعود هذا الموقف إلى عام 1999م، فقد ذهبنا كعادتنا في عطلة الشتاء إلى بلدة الزرقم ببليدية حساني عبد الكريم بوادي سوف، وكنت إلى جانب الدكتور إبراهيم لونيبي فحدثني عن رسائله إلى شيخ المؤرخين إلى الأردن، وأنه قد وصلته في هذا الأسبوع رسالة هامة فكان يحدثني بشوق كيف كان ينقل للدكتور وهو في غريته بأمريكا أو الأردن أخبار الجزائر في رسائل خطية، وفعلاً أشار الدكتور سعد الله إلى جانب من هذه الرسائل مرة بالإشارة، ومرات أخرى بذكر أصحابها⁽³²⁾ كنا نتذكر شيخ المؤرخين، ثم ذهبنا إلى رمال قمار وجربنا صعود هذا الجبال الكبيرة من الرمال الناعمة فقال لي لونيبي، هنا كان يلعب سعد الله في أيام طفولته وشبابه، ثم قال سأذكر شيئاً للدكتور عن زيارتنا هذه إلى قمار وسأذكر له تحديداً من كان معي في لعبة الصعود والهبوط في تلال ورمال قمار الناعمة. ثم اقترح علينا الأستاذ مسعود كواتي والأستاذ مديني بشير زيارة قمار، بلدة شيخ المؤرخين وآل سعد الله، الأول لزيارة شقيقته، والثاني ليلقي نظرة على أهله وخاصة خاله أستاذ الفلسفة الذي

والإنسان والوطني الصادق فعليه أن يقرأ "موسوعة لسان قلم" [اليوميات] التي تشرف الآن على صدور الجزء السابع منها، ثم التقيت الباحث الخلق لحسن بن علفية⁽³⁰⁾ في المعرض الوطني للكتاب يوم تكريم الشيخ محمد الصالح الصديق، فقال لي: هل تذكر إنك الوحيد الذي استمع إليه وهو يقرن تحلية اسم سعد الله بشيخ المؤرخين الجزائريين، ثم سألت أصحابي، مسعود كواتي، بشير مديني، فأكدوا لي هذه النسبة، والحقيقة التي لا أنساها أنني كنت أسمع منذ عام 1980 الأستاذ الدكتور موسى لقبال رحمه الله إذا حدثنا عن تونس يقول وجاء في خلاصة تاريخ تونس لأستاذ الجيل حسن حسني عبد الوهاب، يرددها بحنية خالصة، رغم تحفظي من شخصية أستاذ الجيل هذا وهو قامة عالية في الدراسات التاريخية في الإذاعة التونسية، وغيرها من المؤسسات⁽³¹⁾.

ومنذ ذلك الزمن، وأنا في ذهني مكانة روحية عالية للدور الذي يقوم به المؤرخ النزيه سعد الله فبدأت تحليته بهذه الصفة بداية من 1997م، ولم تجد الكلمة صداها بشكل كبير إلا أثناء رحيله عن هذه الدنيا الفانية، وأول نص مكتوب فيه ارتباط اسم المؤرخ النزيه بتحلية شيخ المؤرخين تعود إلى كتابي "تاريخ الجزائر المعاصر"، الذي طبع عام 2001م بدار البلاغ الجزائرية، ودار ابن كثير البيروتية، ومقدمة الكتاب الأولى مؤرخة في الجزائر، يوم الجمعة 17 رمضان 1421هـ/ الموافق لـ 13 ديسمبر 2000م. ثم أهديت كتابي حول المؤرخ محمد بن عمر العدواني كما يلي "إلى شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله أهدى هذا الكتاب المتواضع" وطبع الكتاب في مارس 2002م/ 1423هـ، كما ظهر الإهداء في الطبعة الجديدة من كتابي الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشبابية، ووقع تغيير بسيط في الإهداء وهو: "إلى شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أهدى هذا الكتاب عربون تواصل بين جيلكم المؤسس وجيلنا الطموح للسير على درب السليم"، طبع الكتاب طبعة راقية بدار كتاب الغد بجيجل لصاحبها الفاضل الأستاذ محمود ميراجي، كما ظهرت التحلية في دراستي في الكتاب التكريمي الذي أصدره مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، ولم أجد من حلاه بهذه التحلية، والله شاهد على ما أقول، وسعد الله أهل لكل خير

الله دموعًا من أجل هذا الطالب الباحث يوم مناقشته للدكتوراه.

أما الباحث الثاني من دفعتنا فهي الدكتورة عائشة غطاس فقيدة البحث العلمي كما نعتها الدكتور سعد الله على صفحات جريدة الشروق اليومي يوم تم اغتيالها ببرودة أعصاب من طرف أحد جيرانها في 10 ماي 2011م. وكنت ثالث ثلاثة يناقش أطروحته للدكتوراه بعد أقل من سنة من أصحابي في المعاصر والحديث.

أتذكر جيدًا هذا الموقف، بعد مناقشتي لأطروحة الدكتوراه طلب مني زميلي مسعود كواتي رئيس قسم التاريخ بجامعة الجزائر، معاونته في تأطير الدراسات العليا، تخصص التاريخ الإسلامي الوسيط، وكنت قد ترقيت إلى رتبة أستاذ محاضر مرسوم في دورة اللجنة الوطنية الجامعية في شهر جويلية 2003م. وتكونت لجنة متابعة الإعداد للمسابقة في قسم التاريخ من أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي موسى لقبال، والدكتور سعد الله شيخ المؤرخين والعبء الضعيف صاحب هذه المواقف إضافة إلى الأستاذين صابر الشريف، والأستاذ حارش محمد الهادي، الدكتور رحمان، وأشهد على نزاهتهم في هذه المسابقة، وفي صبيحة يوم من الأيام ونحن ندون قائمة الطلبة الذين دخلوا المسابقة، دخل أستاذ من الجيل الثاني، بحسب نفسه شيئًا كبيرًا، فصافحنا بعد أن سلم علينا وكنت أكتب والدكتور سعد الله يملي علي الأسماء بهدوء ورزانة، ثم قال **الدكتور الفاهم ياسر**، يا أستاذ سعد الله بلغيت أصبح دكتورًا، قال له سعد الله بانفعال، بلغيت دكتور من زمان، وتركه جانبًا وقال لي أكتب يا أستاذ، فخاب مسعاه ورجع خائبًا من نكته البائخة.

الموقف الحادي عشر: شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله القارئ الأبدى:

وبعد حوالي ثلاثة أشهر ونصف من هذا الموقف لبينا دعوة مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية بجامعة منتوري، بقسنطينة من أجل المشاركة في أعمال الندوة التكريمية التي أقامها المخبر للدكتور سعد الله، تحت عنوان هام "الأعمال التاريخية والأدبية والفكرية للدكتور أبي القاسم سعد الله في ميزان الباحثين الجامعيين يومي 12 و 13 يناير/جانفي

نعرفه جمعًا من كثرة زيارتنا إلى قمار، وفي أحيان أخرى كنا نزور الأستاذ الفاضل الذي حبه لنا الدكتور سعد الله خلةً الوفي الشاعر الأديب الموسوعي محمد الطاهر التليلي⁽³³⁾.

لقد كان يقرأ لنا بعض أعماله، كما كان يستشيرني في كثير من غرائب المصطلحات وأسماء أعلام وهو يحقق تاريخ الشيخ محمد بن عمر العدواني⁽³⁴⁾، ثم عدنا إلى ديارنا بعد هذا الملتقى الخاص بالشيخ محمد بن عمر العدواني، وبالمناسبة فشيخ المؤرخين لا يحبذ هذه المشاركات الإخوانية⁽³⁵⁾.

الموقف التاسع: سعد الله الإنسان... وقصة إرسال نسخة من أطروحتي للدكتوراه إلى تلمسان:

يعود هذا الموقف إلى شهر ديسمبر 2002م، حينما جئت إلى المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، لأقدم النسخة النهائية من أطروحة الدكتوراه إلى الأستاذ الدكتور عبد المجيد بوجلة ليحملها إلى تلمسان ومن هناك إلى أستاذي الخلق الفاضل عبد الحميد حاجيات، ولما اقترب شيخ المؤرخين مني ليسلم علي في مكتب الكاتبات بالمركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، سقط المجلد الأول فقال سعد الله رحمه الله: وَكشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا⁽³⁶⁾.

ثم قام الشيخ المتواضع برفع الجزء الذي سقط أرضًا وطلب ورقًا من الكاتبة، ثم ساعدني في لفه وتسليمه إلى الأستاذ بوجلة، فحمل المجلدين معه إلى تلمسان.

الموقف العاشر: أستاذ فامم ياسر⁽³⁷⁾ يسخر مني بعد مناقشة الدكتوراه:

ناقشت أطروحة الدكتوراه يوم 15 ماي 2003م، وأكون بذلك ثالث ثلاثة من دفعتنا الذين ناقشوا تباعًا، الأول يوسف مناصرية الذي ناقش في يوم شديد البرودة، وهو الطالب الذي أشهد أمام الله أن شيخ المؤرخين سعد الله كان ينعته بصدق بالابن البار، وكان طالبًا متواضعًا فكوثه سعد الله تكويينًا لم أعرف أن أحدًا من الخلق قد قام به حتى مع أخلص أبنائه من صلبه، وأشهد أن الموقف الذي رأيته بأمر عيني يوم المناقشة يدل على هذا الود والحب، فقد ذرف سعد

الثقافي للثورة الجزائرية المباركة [1954/1962م]، ومشروعه الذي أعلن عنه مرارًا وهو كتابة تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى غاية نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وقد بلغني أنه أكمل عمله وسلمه إلى يد أمينة، وهو ما أشار إليه صاحب دار المعرفة، يوم الثلاثاء 17 ديسمبر 2013م في تأيينية الشروق الجزائرية. كما قال أن أعماله الكاملة ستظهر بإذن الله في 63 مجلدًا بعدد سني حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما وجد سندًا قويًا من الشاب الخلق مراد وزناجي الذي قال يوم تأيينه: لم يكن سعد الله عندي أستاذًا فقط، بل عوضني غياب وموت والدي، بل قال كنت أحسب نفسي خادمه، ولهذا فاز هذا الشاب بكل مكونات شيخ المؤرخين، فحاوره في أدق تفاصيل أعماله وحياته، كان بالإمكان أن يتحول هذا العمل والاجتهاد إلى حوار معرفي شامل، لو حسنت النيات ولكن قضاء الله وقدره، أسبق من كل الأمنيات، وذهب سعد الله إلى ربه يشكو ظلم الخصوم الذين ضيقوا على مؤرخ كبير، وأفسدوا مسار بلد عملاق كالجزائر، قلت عدت بعد هذا الاستطراد، وأثناء استعدادي لمغادرة العاصمة في نهاية شهر جوان 2004م للمشاركة في مناقشة رسالة ماجستير، أو أطروحة دكتوراه بمدينة الباهية، وهران هتف لي شيخ المؤرخين ليلا، وقال لي: يا سي بلغيث، بلغني أنك مسافر إلى وهران، وعندي أمانة عند إنسان في وهران، فقلت له أنا سأقيم في فندق بوسط المدينة، وبعد وصولي بساعة تقريبًا جاعني شخص لم يسبق أن عرفته، وسلمني ظرفًا كبيرًا مكتوب عليه خارج السرب، تأليف الدكتور أبو القاسم سعد الله، يبدو أنه نسخة أخيرة لروفة التصحيح النهائي جاءت من الناشر الأستاذ الحبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي ببيروت⁽³⁹⁾.

ولما عدت إلى العاصمة سلمت الأمانة إلى صاحبها بالمركز الوطني بالأبيار، فشكرني بأدب جم كعادته.

الموقف الثالث عشر: هدية متواضعة إلى شيخ المؤرخين الجزائريين:

أول كتاب أهديته بيدي إلى شيخ المؤرخين هو الطبعة الأولى لكتابي الشيخ محمد بن عمر العدوان مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية، الذي طبعته دار أنتير سينيني، في مارس

2004م"، وبالمناسبة وحتى لا تفوت الفرصة فدونها بعد أن كانت تتداولها الألسن شفويا أن طلبه سعد الله الذين حضروا الندوة، الأول طالبه وصفه الدكتور إبراهيم لونيبي، وطالبه الأول من أيام الدفعة الأولى للمجستير رغم أنه لم يشرف على أعماله هو العبد الضعيف [محمد الأمين بلغيث]، ففي اليوم الثاني أعتقد أنه اليوم الموعد لأقدم مداخلة الموسومة بـ"أبو القاسم سعد الله محقق التراث الجزائري، عينة من التراث الجزائري"⁽³⁸⁾ وفي حضرة المحتفى به، نهضت باكراً كعادتي هيأت نفسي، أديت صلاتي، وكانت الساعة السادسة والنصف صباحاً قلت في نفسي هذا موعد الإفطار قد بدأ في نزل بانوراميك بقسنطينة، فنزلت الهويني، فوجدت شخصاً واحداً منعزلاً يتناول إفطاره، فإذا به شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله فألقيت عليه تحية الإسلام، واستأذنته في مشاركته هذه الطاولة فرحب بي، وجلسنا مدة طويلة، تحدثنا فيها عن عديد القضايا، ثم نهضنا، ونحن في طريقنا إلى غرفنا بالنزل، قلت له بالمناسبة يا أستاذ نكمل حديثنا في غرفتكم، قال لي لا يا سي بلغيث أنا ذاهب لأقرأ، فقلت له على سبيل النكتة وبادرجة جزائرية، نعم صحيح أنت تعرف أنني ختمت القراءة [إشارة إلى مناقشتي للدكتوراه في شهر ماي 2003م]، أما أنت فلا تزال صغيراً أقرأ على روحك؟ فتبسم وشدني من يدي وقال تعالى انظر إلى الطبعة الجديدة التي وصلنتي من دار الغرب الإسلامي مجلة البصائر، فجلسنا مدة وتركته يلمل أشياءه في انتظار موعد السيارات التي ستقلنا إلى قاعة المحاضرات.

الموقف الثاني عشر: سفري إلى وهران وقصة كتاب خارج السرب:

أتذكر أيضاً أنه بعد عودتنا من قسنطينة بعد الأيام التكريمية التي أقامها مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، كنت أشاهد سعد الله من بعيد، ولكن أغلب الأوقات كنا نسلم عليه في المركز وللشهادة والأمانة ففي السنوات الأخيرة بعد عودته من الأردن، كنا نشاهد سعد الله مواظبا على مكتبه بالمركز الوطني بالأبيار [الجزائر العاصمة]، وهذه خصلة وسلوك حضاري يشكر القائمون عليها، كما خصصوا له كل وسائل الراحة لإنجاز أعماله ومنها على ما أعقد التاريخ

وطلب مني أعضاء الجمعية الخلدونية أن أتوسط لدى شيخ المؤرخين ليقول كلمة بالمناسبة، مناسبة التكريم، وبمناسبة اختتام الملتقى، الخاص بعقبة بن نافع رضي الله عنه.

قبل شيخ المؤرخين الأمر مكرهاً لحساسية الموضوع، وكلمته كلها واضحة في أنه لم يرض عن المداخلات التي قدمت في هذه الجلسة تماماً، لكن للأمانة حضر شيخ المؤرخين الجلسة المسائية التي تداول على منصتها مجموعة من الباحثين ورأينا تمللا من الدكتور سعد الله، [وقد ذكر لي أحدهم تبرم شيخ المؤرخين من جل المداخلات إلا مداخلتي أنا العبد الضعيف ومداخلة الدكتور مراد اليعقوبي التونسي، وقال كلاماً لا أعرف أن المؤرخ الخلق يصدر منه]، والحقيقة للتاريخ أن شيخ المؤرخين يتعالى عن هذه المصطلحات، وقد أوردت هذا الموقف من شخصية كبيرة لا أملك إلا أن أصدقها ولكن ليس بهذه اللغة⁽⁴³⁾.

والحقيقة فعلا أن الأستاذ مراد اليعقوبي التونسي باحث متمكن من تخصصه، وباللغتين الفرنسية والعربية، تمكن من شد الحضور، بأسلوبه الجميل وبلغته العربية الجميلة، رغم أنه تخرج في جامعة السوربون، وناقش دكتوراه الدولة حول التاريخ الحربي لعصر النبي محمد ﷺ، أما العبد الضعيف فقد قدم مقاربة مقبولة حول شخصية **كسيلة بن لزم** الذي قاتل عقبة وقتل أصحابه في المعركة الشهيرة التي أدت إلى استشهاد من كان مع عقبة من الصحابة والتابعين ومن بينهم حليفه أبي المهاجر دينار.

الموقف الخامس عشر: قناة المستقلة اللندنية تصنع الخصومة بين الأقران:

هذا موقف تطول حيثياته، وتداخلت أسبابه، لهذا سأحكي وأتكلم عن الموقف ولن أنتصر لنفسي، أذكر أنه مع مطلع العام الجديد خلال سنتي 2007م و2008م، اتصل بي الدكتور الهاشمي الحامدي، وقد زكاني بعض الصالحين عنده، للمشاركة في ندوة تبثها قناة المستقلة اللندنية، بمناسبة ما تعرض له النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الرسوم الكاريكاتورية بأوروبا والسويد والنرويج خصوصاً، فكانت الحلقة الأولى حول هذا الموضوع "لماذا نحبه"، شارك فيها على المباشر وعن طريق الهاتف العبد

2002م، وأعتذرت له عن رداءة الطبعة، وضعه في حقيبته ولم أسمع تعليقا، ثم جاءت الطبعة البيروتية لكتابي تاريخ الجزائر الذي أعتز به كل الاعتزاز⁽⁴⁰⁾، فاخترت نسخة قشبية، وكتبت الإهداء إلى شيخ المؤرخين وكنا في حضرته بالمركز الوطني للبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بالأبيار بالجزائر العاصمة، وقلت له وأنا أقرب من أذنه، أهديك هذا الكتاب العزيز عليّ، ولكن إذا وجدتني سرقت الكثير من غيري ومنكم تحديداً فلا تقل للناس [قلتها بالدارجة الجزائرية ما تبيّش]، قال بعد ابتسامه عريضة، **يا سي بلغيث** كلنا نأخذ من هنا وهناك ولكن إياك أن يعرف الناس تجاوزك لحدود السرقة [والفاهم يفهم]، فكانت علامة الرضا بادية عليه وهو يتصفح الكتاب، أو هكذا ظهر الأمر لي وأنا أهدي إلى المؤرخ النزيه أعلى ما وصل إليه اجتهادي. [أظن أن هذا الموقف حدث في حدود 2003م] بعد عودته من الأردن وكان قبل هذا قد سألتني هل وصل كتابك تاريخ الجزائر المعاصر من بيروت، لأن البعض من الجزائريين قد تمكنوا من اقتناء الكتاب من سوريا أو لبنان قبل أن يصل إلى الجزائر. وللأمانة معظم كتبي التي طبعتها بداية من 2006م، أرسلت نسخاً منها إلى شيخ المؤرخين عن طريق الدكتور إبراهيم مياسي رحمه الله⁽⁴¹⁾.

الموقف الرابع عشر: ملتقى عقبة بن نافع رضي الله

عنه:

حضرنا الملتقى الوطني الخامس [يسكرة عبر العصور]، أيام 11، 12، 13 ديسمبر 2006م، بالمركب الإسلامي بسيدي عقبة، وكان الدكتور شيخ المؤرخين من الحضور البارزين، وكانت اللجنة العلمية للملتقى قد أجمعت على تكريم الدكتور موسى لقبال رحمه الله، وكان الحضور من مختلف البلدان العربية من لبنان والمملكة العربية السعودية وتونس وليبيا، والجزائر طبعاً، ويبدو أن مستوى الملتقى لم يرق للأستاذ سعد الله، وهو ما عبر عنه صراحة في كلمته، وللأمانة أنا من أشرف على الجلسة الختامية للملتقى، وحدث أن وقع تغيير في التكريمات فبدلاً من تكريم الدكتور لقبال، استقبلوا شيخ المؤرخين بما يليق به بحفاوة ظاهرة أثارت حفيظة مؤرخ الجيل الأستاذ الدكتور موسى لقبال⁽⁴²⁾، فكان شيخ المؤرخين يجهل أسباب توتر الدكتور موسى لقبال،

والاستمرارية عندها، وليس هناك قديم ووسيط وحديث في التاريخ إلا عند المتعلمين⁽⁴⁷⁾.

فكان الموقف الأول مع سعد الله شيخ المؤرخين الجزائريين، يتمثل في اتصال حرم الدكتور الهاشمي الحامدي التي طلبت مني هاتف المؤرخ الشخصي فكلمته من أجل الفصل في خلاف في المنهج والجوانب المعرفية بيني وبين خلدون مكي الحسني من دمشق، فقالت لي السيدة أن الدكتور المؤرخ وافق على المساهمة، وفي صبيحة يوم الحلقة، رن هاتفي المحمول وأنا أتناول قهوة الصباح، قال السلام عليكم أستاذ بلغيث، قلت: خيرًا إن شاء الله، قال بدعابة مشهورة عن شيخ المؤرخين: أنت تعرف يا أستاذ أنني من كبار السن ولا سلطان للنوم علينا، وليس كما هو حال الشباب اليوم، ثم قال لي: لخص لي ماذا تعرف عن أحمد باي، ثم ماذا قلت أو كتبت أنا شخصياً؟ فلخصت له عن ظهر قلب ما ذكر بالتفاصيل المملة عن أحمد باي، قال إذن أنت من يمثلني لدى قناة المستقلة، في هذا الموضوع وتحدث بهذا الكلام على لساني، إذا أحببت.

فشكرته، ثم قبل أن يتم المكالمة، قال لي بالمناسبة لقد أرسلت إلى أخي علي وطلبت منه أن يبين لي قناة المستقلة في هذا البرابول [الهوائيات المقفرة] وقد فعل وأنا أسمعكم، فكانت هذه الكلمات جواز مرور لي ولأحبائي الذين يتحاورون مع الناس خاصة إذا كان البث مفتوحاً وعلى المباشر.

وفي المساء أخبرتني السيدة أن الدكتور سعد الله اعتذر عن التدخل نظراً لظروفه الصحية، ولكن الحقيقة غير ذلك، لأن شيخ المؤرخين يتجنب وسائل الإعلام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وبعد نهاية حلقات الأمير عبد القادر شرعنا في حلقات أخرى ومع أصحاب الكعب العالي من جيل الرواد ومحبي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وفي خضم هذا النجاح الإعلامي، ونظراً لحساسية الأقران اجتمع البعض من الذين أزجعتهم حلقات قناة المستقلة اللندنية التي لم تتصل بهم، واتصلت بمؤرخ غير متخصص كما يقولون⁽⁴⁸⁾، وكما يشيرونها عند مرديهم الذين لا يحسنون الأدب مع غيرهم.

الضعيف [محمد الأمين بلغيث]، والأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم. ومن المملكة العربية السعودية مدير دار المنهاج، وكانت الحلقة مقدمة أولى لاتصالات متعددة مع قنوات عديدة كقناة الجزيرة الوثائقية⁽⁴⁴⁾، والحوار، وبعد مدة اتصلت بي سيدة إعلامية، تعيش في لندن، تخرجت من قسم الفلسفة بقسنطينة [عاصمة الشرق الجزائري] تدعى دليلة راشي، تقول أنها درست التاريخ على يد الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، لنقول أنهم سطوروا برنامجاً طويلاً حول شخصية وأثار وجهاد الأمير عبد القادر، فقالت لي هل بإمكانك أن تقدم لنا الخطوط العريضة للبرنامج، وبالمناسبة، ذكرت لها أننا يجب أن نتفق أولاً على أمور ثلاثة:

الأول: أنا من يعد الخطوط العريضة لحلقات الأمير عبد القادر

الثاني: يجب أن تلتزم القناة بدفع حقوقنا المادية والحفاظ على حقوقنا الأدبية

الثالث: أنا من أقترح المتحاورين، وإن بدى لكم الاستعانة بشخص غير الذي أقترحه على القناة، فعليكم أولاً أن تخبروني بالأمر.

وفعلا التزمت القناة بكل هذه الشروط ما عدى حقوقنا المادية⁽⁴⁵⁾

كانت الحلقات الأولى حول الأمير عبد القادر نوعاً ما بسيطة دارت بيني وبين الدكتور عبد اللطيف بالطيب⁽⁴⁶⁾، ثم اقتُرحت على القناة اسم المؤرخ إبراهيم مياسي، فشاركنا في معظم حلقات الأمير، وفي نهاية الحلقات انضم إلينا الأستاذ والإعلامي المتميز بشير مديني، الذي كان وفيّاً لخط شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله ولم يتركني لوحدي ونحن نواجه التزييف والتزوير ولي الحقائق وبخس الناس أشياءهم، فكانت معركة كبيرة تُدار بين جيل شاب من المؤرخين الذين يقرؤون للخبير بمناهج الغرب، والعارف بخبايا أصحاب الذاكرة المقطوعة، وبين الذين لا يعلمون، ويزعجهم الذين يسجلون ويكتبون ويجتهدون، لأننا فهمنا من مناهج التاريخ عند سعد الله أن تاريخ حضارة ما يمثل الوحدة

أسماءنا، فقال مباشرة واقترب مني " هل تعرف يا سي بلغيث أن واحداً من أبناء إخوتي قرأ أحد كتبي وحضر فهارسه، فلما طُبع الكتاب لم يجد اسمه مع الذين ذكرتهم في المقدمة أعرض عني غاضباً إلى اليوم.. . وأخذنا صورة تذكارية مع شيخ المؤرخين سوف تكون ملحقة في ألبوم الصور والمستندات بإذن الله(51).

الموقف السابع عشر: شيخ المؤرخين يودع الدنيا الفانية بالمستشفى العسكري:

بعين النعجة 11 صفر الخير 1435هـ / 14 ديسمبر 2013م:

لا أنسى هذا الموقف، وأعلم قارئ هذه المواقف أنني لم ألتق بشيخ المؤرخين منذ يوم السبت 8 ديسمبر 2012م إلا عبر الهاتف، وكنت مع الدكتور محمد العربي معريش أول من رأى جثمانه الطاهر بعد أقرب المقربين له من أسرته، فقد دخلنا عليه بغرفة الانعاش، فنزعنا عنه الغطاء وقبله معريش أولاً، ثم قبلته ثانياً ودعونا له المولى سبحانه وتعالى أن يتقبله في الصالحين، ثم أخذوه من جناح الانعاش إلى مصلحة حفظ الجثث وبقي هنالك إلى غاية إتمام الإجراءات الإدارية التي قام بها ابنه الوحيد أحمد في بلدية القبة، ثم سبقتنا سيارة الإسعاف إلى بيته دار الأردن، وهناك ألقى عليه أحبابه والمعزون النظرة الأخيرة وترحموا على روحه، وكان هذا آخر موقف مع شيخ المؤرخين رحمه الله.

لكن قبل موته وفي المرة الأولى لما بلغني دخوله إلى المستشفى أتممت أشغالي يوم الأحد 24 نوفمبر 2013م(52)، ورافقتني الدكتور محمد عبد الحليم بيثي من كلية العلوم الإسلامية، إلى المستشفى ووجدنا صعوبة بالغة في الدخول إليه فقد منعونا وقالوا لنا ماذا يربطكم بالسيد سعد الله، ثم وصلنا أخيراً إلى غاية السرير الذي غادره باكراً، وكنت كل يوم أهاتفه، وهاتفه لا يرد، وقبل وفاته وبعد يومين سجلت حصة بالإذاعة الثقافية مع مرافقي مراد مسعودان، وتأخرنا إلى غاية التاسعة ليلاً، فطلب مني مساعدته للوصول إلى حي شوفالبيه، وحينما وصلت إلى شارع العقيد بوقرة، كلمني شيخ المؤرخين في الهاتف، وفهم مرافقي مراد(53) أن صاحب المكالمة من كنا نتحدث عن مساره العلمي دون أن نذكر أو

التقى جمع من هؤلاء تحت وصاية إتحاد المؤرخين الجزائريين(49)، وكان شيخ المؤرخين لا يعلم ما يبرمج له أو ما دبر بليل من بعض "الفراريح" التي صاحت باكراً وقبل الأوان كما قال أسلافنا عن ثورة الشيخ محمد المقراني رحمه الله، فروج صاح باكراً من مجانة وبرج بوعريريج(50).

تكلم أحدهم وقال "إن تاريخ الجزائر يُسَطَّح عبر القنوت الأجنبية"، وفهم شيخ المؤرخين الرسالة وقال لهم من العيب أن تذكروا محمد الأمين بلغيث، وهو غائب، وبلغيث كتب ما لم تكتبوا أنتم".

لا علينا الرواية واضحة وتدخل في حسد الأقران أو الحسدة كما يسميهم الإمام أبو بكر محمد بن العربي المعافري صاحب أحكام القرآن، وقانون التأويل، وتمت العملية وكنت في غفلة من أمري لأن السهم جاء من واحد اعتقدت فيه الخير، وبتواطؤ أو سكوت أحد رفاقي الأعداء الذي شاركته في أفراحه وأطراحه، وبعد حوالي أسبوعين من الحادثة المشهودة بالمركز الوطني بالأبيار، ورغم اعتذارات الأمين العام لشيخ المؤرخين إلا أن سعد الله غضب لهذا الفعل غير الحضاري، ولكن أهم ما في هذا الموقف فإنني لما التقيت بشيخ المؤرخين بعد أسبوعين على مرور الحادثة قال لي: دون مقدمات "ألم يقولوا لك أنني دافعت عنك".

هذا موقف يغطي على كل مواقفي التي عشتها وسردتها بأمانة أمام التاريخ، ومنذ ذلك الحين، زاد تعلقي بمتون شيخ المؤرخين ويحث عن العظمة في شخصية هذا العملاق الذي هوى ذات يوم من أيام الله تعالى تاركاً فراغاً مهولاً بين أصفياه وأحبابه ورجال المدرسة التاريخية الجزائرية.

الموقف السادس عشر: اللقاء الخالد وصراحة شيخ المؤرخين الجزائريين:

كنت على موعد يوم السبت 8 ديسمبر 2012م، مع الأستاذ بشير مديني، لما التقينا سعدنا إلى قسم التاريخ، ودخلنا مصلحة البحث العلمي فوجدنا شيخ المؤرخين مع طالبة من طلابه يقرأ ويصحح مذكرتها، لما دخلنا ترك ما كان يقرأ ورحب بنا ثم سألناه عن صحته فقال الحمد لله، وكان يبدو عليه الجهد والتعب وثقل السنوات، ثم مازحته أنا فقلت يا أستاذ أتممنا الجزء السادس من مسار قلم، ولم نجد

العلماء والمجاهدين العاملين من أبناء هذا الشعب المعوان على الخير.

الجزائر في 05 يناير، جانفي 2014م

الهوامش

(1) سلمت هذه الدراسة إلى الصحفي عثمان عبد الحميد، من أجل نشر- موقف أو موقفين، ثم نشرت جريدة الشروق معظم المواقف مع تصرف بسيط، كما ألغوا من المقال المنشور على حلقتي بعض المواقف التي ربما رأت الجريدة من خلالها قضايا خاصة جداً لا تصلح للنشر- في هذا الظرف والله أعلم، لكن أنا سأنشر العمل كاملاً بهوامشه وتعليقاته ومع خصوصيات الشهادة التي نالت استحسان متصفح الجريدة الإلكترونية، راجع الشروق اليومي أيام 12 و13 يناير/جانفي 2014 الأعداد 4254 و4255. أما عنوان المقال في جريدة الشروق فهو: كما يلي: الباحث محمد الأمين بلغيث يكتب عن شيخ المؤرخين الجزائريين [مواقف إنسانية عشتها مع العلامة" أبو القاسم سعد الله".

(2) جريدة المساء، تاريخ 18 يونيو 1990م. وقد أمدنا هذا الموضوع إلى الأستاذ بشير بومعزة بمناسبة تأسيسه لجمعية 8 مايو 1945م لتحاسبات العدو عن جرائمه وتطالبه بحقوق الجزائريين، الأعمال الكاملة المجلد العاشر، أبحاث وآراء القسم الرابع، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005م. ط. 2. ص: 21/19.

(3) لا أعرف لماذا لم يذكر شيخ المؤرخين مجزرة البليدة، ومجزر العوفية بضواحي الحراش عام 1832؟

(4) وردت هذه العبارة في مراسلة خاصة بين شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله من جامعة آل البيت بالأردن إلى الأستاذ: محمد الهادي الحسني رئيس تحرير مجلة الموافقات بتاريخ 19 ديسمبر 1996م يدعو فيها الأستاذ سعد الله إلى ترك الإمام عبد الحميد بن باديس وشأنه لأننا لا نقدر الرجل قدره ومذا طبعاً حينما استكتبه ليشترك بمقال أو دراسة في الملف الرئيسي الخاص بالإمام الرسالي عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

مجلة الموافقات العدد الخاص بالإمام عبد الحميد بن باديس، العدد السادس، عام 1998م.

(5) Les loyaux serviteurs de la France coloniale

(6) محمد الصالح بكوش، الترجمة في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي- [1930/1830]، تصدير محمد الأمين بلغيث، الجزائر، دار التنوير، 2013م. ص:

5.

نعلم أنه كان بالمستشفى العسكري بعين النعجة وهذا للأمانة، والشريط موجود عندي، وترحمنا عليه حياً وميتاً وقلت لمرافقي أن الرحمة تجوز في الميت كما تجوز في الأحياء، وقلت له يا أستاذ توحشناك⁽⁵⁴⁾، وأرغب في زيارتكم، فقال لي حتى أقول لك يا سي بلغيث، كلمني بالهاتف قبل الزيارة⁽⁵⁵⁾، وبعد ذلك كلمت محمد العربي معريش فقال لي فعلاً الدكتور في بيته ولكن يجد حرجاً أثناء زيارته فليس هناك في بيته من يقوم باستقبال ضيوفه، إلى أن هاتفتي معريش صباحاً في حدود الثامنة والنصف من يوم السبت 14 ديسمبر 2013م، فقال لي عَظَّمَ اللهُ أجركم في شيخنا الدكتور سعد الله، فأخذت سيارتي رأساً من بيتي إلى المستشفى العسكري بعين النعجة ولم أجد صعوبة هذه المرة في الولوج إلى المستشفى، وانتظرت طويلاً، أو هكذا بدى لي مجئ الدكتور محمد العربي معريش، ثم دخلنا بهو جناح الانتعاش، فوجدنا أم أحمد، وأحد من أبناء أخيه وواحد فقط من إخوته، وسألناهم عن مكان دفنه فطلبوا منا الانتظار، ثم أخبرونا بعد ذلك أنه سينقل إلى قمار ليدفن هناك بوصية منه، وطلب أن يترك بسلام دون أن تتدخل أي مؤسسة في دفنه.

للتاريخ فقد كان لنا الدكتور إبراهيم حمادة نعم المساعد، فقد عرفته قبل أن يكون طبيباً ماهراً وصاحب خلق كريم، فهو على درجة عالمية في معارفه التاريخية، وقال لي ونحن ننتظر خروج سيارة الاسعاف وحملها نعش الفقيد العزيز إلى أهله بدار الأردن بضاحية دالي إبراهيم بالجزائر العاصمة، قال لي كنت هذه المدة الأخيرة أشرف على صحة شيخ المؤرخين سعد الله وأستمع لك وأنت تتكلم بعاطفة جياشة عن رائد المدرسة التاريخية الأكاديمية في القناة الثقافية الجزائرية وفي برنامج "التاريخ يسجل". فشكرته على إنسانيته وعلاقته الطيبة بأحمد نجل الدكتور سعد الله في هذه الفترة العصبية.

سلام عليك يا شيخ المؤرخين في الخالدين وطيب الله ثراك فقد كنت نعم الرائد لأمته في حرصك على تنوير الذاكرة الجزائرية، وتبنيه الأهل وسادة البلد إلى ما يُدار من وراء البحر من أجل تسفيهه وطمس أعمال الصالحين من

خليفة لآغا العرب، ثم قبطاناً في جيش القناصة ثم رقي إلى رتبة رائد في نفس الجيش سنة 1833م وبايع على قسنطينة سنة 1836 أثناء الحصار الأول للمدينة، وفي سنة 1845م ارتقى إلى رتبة جنرال وقائد فيلق سنة 1865م وتوفي سنة 1866م، وسماه محمد باشا في التحفة يوسف المنتصر العنابي، لأنه بعد أن تلقى تربية إسلامية في قصر الباي تنصر، وكان معروفًا بقساوته على الجزائريين، وقد نسبته أحمد باي في مذكراته إلى أصل يهودي.

(13) مازن صلاح مطبقاني باحث سعودي مكان عمله الآن بالرياض، وقد تابعنا نشاطه الذي ارتبط أولاً بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم بعد ذلك اختار طريقاً آخر وهو التخصص في تاريخ الاستشراق، ومن أعماله المتميزة ما يلي:

1- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1939 رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز، قسم التاريخ، جدة، العربية السعودية، أكتوبر 1985م. والكتاب مطبوع أكثر من طبعة ومنها طبعة عالم الأفكار، راجع مقدمة شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله، رأي في دور جمعية العلماء [تأملات وأفكار] المجلد 16، أفكار جاحمة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005م. ص: 47/54.

2- عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دمشق، دار القلم، 1999م. ط 2. اقتنيت هذا الكتاب من دار القلم بدمشق يوم 28 ديسمبر 2002م.

3- صراع الغرب مع الإسلام، تأليف آصف حسين، ترجمه من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، ونشر بدار عالم الأفكار، عام 2013م.

4- ديرليك، عبد الحميد [1307/1358هـ / 1889/1940م] مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، ترجمة مازن صلاح مطبقاني، الجزائر، عالم الأفكار، 2014م.

(14) كان الأستاذ مازن في مستوى المسؤولية، فقد أرسل رسائله النادرة وعددها 9 رسائل من بينها رسائل أولية يشرح فيها للباحث طريقة البحث والمصادر الأولية لتاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(15) كانت الواجهة الكبيرة من شدة نظافتها لا تظهر للعيان، وكان سمكها كبيراً، ولا يوجد في وسطها إشارة أنها نافذة زجاجية كما هي عادة الفنادق السياحية الكبرى، وقد علق مدير الفندق بعد ذلك فقال لأحد زملائي [يا صاحبي معظم السكارى اصطدموا بهذا الواجهة ولم تكسر طيلة وجودي هنا، رغم البنية الضعيفة للأستاذ لكن علق فقال [bien sur Algérien tête dur] وهو: ما ترجمته رأس صلبة: كمواطنيه من الجزائريين.

(16) راجع كتابي تاريخ الجزائر المعاصر. الطبعة الرابعة والخامسة المجموعة الثامنة من وثائق وصور الكتاب.

(7) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005م. ط 2. ص: 241. راجع تعليق باحث مغربي يأكل الغلة ويسب الملة يأخذ المعلومات من مصادرها الجزائرية ويعلق عليها بما تمليه نفسه الغافلة عن الحق وشتم الجزائريين. راجع محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، تقديم محمد كنيب، الدار البيضاء، دار أبي رقراق، 2008م. ص: 40 هامش 63.

(8) بعد فرز القائمة وانسحاب البعض التحق بنا من قسنطينة الأستاذ المغفور له عيسى حمودة [توفي في 25 مارس 2004م]، وقد انسحب من الدراسات العليا لظروف خاصة، وغادر مقاعد الدراسة من أجل أداء واجب الخدمة الوطنية، والتحق بنا أيضاً الأستاذ عمار مزياني، الذي انسحب هو الآخر، واختار الأعمال الحرة، ثم المحاماة وهو من الشخصيات المعروفة في باتنة على ما يذكر الناس في الوقت الحالي.

(9) بعد عملية الفرز وإتمامنا للسنة التمهيدية للماجستير [1981/1980] رأى المشرفون على هذه الدفعة، بعد تقسيمنا وتوجيهنا إلى التخصصات التقليدية المعروفة، رأى بعضهم إدماج طبعة الدراسات العليا، لهذا أدمجوا ضمن دفتنا في سنتنا الأولى بعد إتمام السنة التمهيدية، إلى دفتنا الأسماء الآتية وهم: إبراهيم العيد بيشي- [تخصص قديم]، رشيد تومي [تخصص وسيط أوروبي]، لطيفة بشاري [تاريخ إسلامي وسيط]، عائشة غطاس رحمها الله [تخصص حديث عثمان]. محمد العربي معريش [تخصص حديث ومعاصر].

(10) هذه دارجة جزائرية يقصد بها يبدو يا جماعة أنكم لستم في المستوى المطلوب.

(11) قدم يوسف مناصرية دراسات نوعية بإشراف شيخ المؤرخين الجزائريين ومي كما يلي:

أ/ مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب. طبعتان بالجزائر.

ب/ الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية، مطبوع.

ج/ الشيخ عبد العزيز الثعالبي، حزب الدستوري التونسي مطبوع بدار الغرب الإسلامي، [ماجستير 1986م].

د/ النشاط الصهيوني بالجزائر، دار البصائر [دكتوراه، وقد حضرت مناقشتها، بقسم التاريخ، بوزريعة]، تصدير بقلم شيخ المؤرخين وقادة الباحثين أبو القاسم سعد الله، 2009م. الجزائر، دار البصائر، [التصدير بتاريخ 06 يوليو 2006م].

(12) يوسف العلي، اشتهر بيوسف العنابي، ادعى أنه ولد في جزيرة [إيلب] واختطفه وهو طفل جنود البحرية التونسية سنة 1815، نشأ بقصر- الباي، والتحق بالجيش الفرنسي وعُيِّنَ ترجماناً في جيش إفريقيًا ثم عينه كلوزيل

أحمد حمدي، ثم الأستاذ الصادق بخوش لفترة انتقالية، ثم الدكتور الشاعر عبد الله حمادي، وبعد ذلك استلم الرئاسة والمهمة الدكتور جمال يحيوي، إلى يومنا هذا [جانفي 2014م].

(26) هذه الكلمة أم الشرور كلها قالها سفير بيزنطي عن روما، وأصبحت أرددها في كتيبي ومقالاتي في التاريخ الإسلامي الوسيط أو تاريخ الجزائر المعاصر، ومن بين المصطلحات التي أرددها منذ سنوات [مغول القرن التاسع عشر والعشرين] أقصد فرنسا الاستعمارية، أخذتها من مقدمة الكتاب الذي قصده زميلي كواقي حيث يقول سعد الله طيب الله ثراه "لا نعرف أن أحداً قارن بين غزو التتار لبغداد وغزو الفرنسيين للجزائر، ويبدو أن المؤرخين السابقين لم يكونوا في حاجة إلى مثل هذه المقارنة ما داموا يعرفون مسبقاً أن التتار شعب متوحش وأن الفرنسيين شعب متحضر، ومم متاً كدون مسبقاً أيضاً أن الشعب المتوحش لا يقوم إلا بالتخريب وأن الشعب المتحضر لا يقوم إلا بالبناء. فإذا أضيف إلى ذلك أن التتار قوم قد مضت عليهم القرون ولم يعودوا موجودين بذلك الوصف إلا في أحداث التاريخ وأن الفرنسيين قوم ما يزالون يعيشون بين الناس يدفعون عن أنفسهم بكل الوسائل بما في ذلك التهديد والتمويه - إذا أضيف ذلك إذن عرفنا لماذا لم يعقد المؤرخون تلك المقارنة حتى الآن بين التتار في بغداد والفرنسيين في الجزائر. وأضيف أنني أردت لازمة في التلفزة والراديو وفي الكتب مقولة أقول فيها: [فرنسا هي: عدو الماضي والحاضر والمستقبل]، وفي يوم من الأيام كنت قد أتممت إجراءات الدخول إلى قاعة الركوب بمطار هواري بومدين بالجزائر العاصمة، فأوقفتني صابط كبير من سلك الشرطة قال لي: يا دكتور بلغيت واش دارتلك فرانساً [ماذا فعلت لك فرنسا]، قلت له بهدوء تام وببساطة أنا ما دارتلي فرانساً والو ولكن فرنسا هذه عدو الماضي والحاضر والمستقبل التي رددتها معي يَتَمَتِّي [قتلت والدي] فقط، فقال: سب جُدّها [أي اشم جذورها]، وأخذ بيدي ومررت بكل المصالح إلى أن أدخلني الطائرة المتجهة إلى فرانكفورت بألمانيا.

(27) ظلت سلسلة كاقايوس تصدر خلال ثلاثة عقود تقريباً [1920/1891] في إصدارات أسبوعية، انظر بحث إيمانويل سيفان [E. sivani]، الاستعمار والثقافة الشعبية في الجزائر، الجزء الرابع من أبحاث وآراء، الأعمال الكاملة المجلد 10، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005م. ط. 2. ص: "96/47".

(28) قال تعالى: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183) الشعراء: 183، يعترف شيخ المؤرخين أنه لم يطلع على نص فتوى جول كامبون في نصها العربي بعد اكتشافها في أرشيف ما وراء البحر وفي الوثائق الخاصة بالسودان الغربي، ومعظم من يملك كتابي تاريخ الجزائر المطبوع عام 2001م طالع فتوى قورارة، وبعد

(17) بالفعل سلمت للأستاذ الدراسة كاملة بجهاز الحاسوب قبل نشرها في مجلة المصادر التي يصدرها المركز الوطني

(18) راجع: الدراسة بعنوان صدق دعوة خير الدين باشا التونسي- في الجزائر [أبحاث وآراء] المجلد العاشر من الأعمال الكاملة الجزائر دار الغرب الإسلامي، 2005م. الجزء الرابع ص: 163 وما بعدها.

(19) كتبت دراسات عديدة عن إبراهيم سراج وأدين في معرفة هذا الصحفي الثائر إلى أرشيف ما وراء البحر، بأكس، فقد تحصلت على ملفه كاملاً في صورته الفرنسية، ونشرت بعض الوثائق في هذا الكتاب وفي كتابي الجديد فصول في تاريخ الجزائر المعاصر، الذي سيصدر ضمن أعمال غير الكاملة. كما تحصلت على الصورة الثانية لشخصية إبراهيم سراج من خلال الوثائق العثمانية في دور الأرشيف الليبي التي نشرها الدكتور أحمد صدقي الدجاني رحمه الله.

(20) كم هي رائعة هذه الكلمة التي جعلها شيخ المؤرخين بين شولتين لأن الزعانف عندنا يريدون أن يحتكروا الحقيقة المحضة، ولا يشاركونهم أي باحث وكأنا جئنا من جزائر الواق الواق، ولم نستوعب مناهج المؤرخين، رغم أننا فطنا على حب الجزائر وتاريخها المعاصر عند [المحضر الأمين] على الأمة وتاريخها منذ أن وعينا الكتابة التاريخية.

(21) بعث شيخ المؤرخين الرسالة من جامعة آل البيت بالأردن.

(22) انظر على سبيل المثال لا الحصر، إبراهيم لونيبي، الكتابة السياسية عند أبي القاسم سعد الله [قراءة تحليلية لعينات من آراء ومواقف سعد الله السياسية] الأعمال التاريخية والأدبية، الكتاب التكريمي، جامعة منتوري، إعداد وتصنيف وتقديم، عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص: 173/162.

(23) تعرض شيخ المؤرخين للفترة التي عاش فيها الغربة الحقيقية والألم، ألم الغربتين البعد عن الوطن، وغربته كوطني جزائر وهو يسمع أبناء الوطن الواحد يتقاتلون ويسفكون دماء بعضهم بعض، ولكن للأمانة شيخ المؤرخين حدد موافقه من الصراع الدائر في فترة ما يسميها الإعلام الجزائري بالشرعية الدموية أو الحمراء في كتابه مسار قلم المجلد السادس.

(24) ذكرني بهذا الموقف وتفصيله الأستاذ مسعود كواقي، خاصة حينما قال للأستاذ شيخ المؤرخين يا أستاذ حينما أقرأ الكتاب الشكلاطي [بلون الشوكولاطة] لا أتصور أنني سأكون موضوعياً مع الفرنسيين.

(25) تولى رئاسة المركز السيد الفاضل محمد لخضر- العلوي [توفي يوم الأربعاء 09 محرم 1435هـ- الموافق لـ 13 نوفمبر 2013م]، ثم الدكتور

عام 2013م بدار الهدى للنشر والتوزيع. التقيت مع الأستاذ لحسن بن علجية في يوم الجمعة 20 ديسمبر 2013م، وحضر- معنا حفل تكريم الشيخ الأديب الأريب محمد الصالح الصديق. أثناء انعقاد نشاط المعرض الوطني للكتاب بقصر المعارض بالجزائر العاصمة.

(31) بادر رجال الإصلاح في تونس منذ أواخر القرن التاسع عشر- إلى تلافي النقص الموجود بعدم إدراج تاريخ تونس في برامج الجمعية الخلدونية، التي أسسوها سنة 1896م، وتدرّسها باللغة العربية، وعهدوا بهذه المهمة إلى أبي النهضة التونسية الحديثة البشير صفر، الذي اضطلع بهذه المهمة من سنة 1897م إلى سنة 1908م، فوجدت دروسه في التاريخ والجغرافيا الصدى البعيد، لا في تونس فحسب، بل في أقطار المغرب العربي قاطبة، وبعد وفاته جُمعت دروس التاريخ التي ألفها في الخلدونية في كتاب مستقل بذاته أصدره ابنه مصطفى صفر سنة 1928م، بعنوان "مفتاح التاريخ"، وقد عوض البشير صفر إثر تعيينه سنة 1908م عاملاً بسوسة، زميلها محمد بن الحوجة، ثم واصل تلك المهمة فيها بعد حسن حسني عبد الوهاب، والصادق الزمرلي، وعثمان الكعك سنة 1918 أصدر حسن حسني عبد الوهاب كتاباً بعنوان: "خلاصة تاريخ تونس"، نال الكتاب شهرة كبيرة، فطبع عام 1918، و 1930، و 1953م، و 1968م، والطبعة المزيّدة والمنقحة، قام بها حمادي الساحلي الذي لاحظ أن الخلاصة ينتهي باعتلاء آخر الملوك الحسينيين، محمد الأمين باي، العرش في 15 ماي 1943م، فحرص الساحلي كما يقول على تلافي هذا النقص حتى لا يبقى التأليف مبتوراً، وذلك بإضافة ملحق من إعداده يتضمن موجزاً للأحداث السياسية التي لم يذكرها المؤلف أو أشار إليها إشارة خفيفة، من تاريخ الاحتلال في سنة 1881م، إلى تاريخ الاستقلال في سنة 1956م، راجع حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي، تونس، دار الجنوب، للنشر 2001م. ص: 5 وما بعدها.

(32) ذكر سعد الله لوني سي قائلًا: وصلتني [الجمعة 25 فبراير 1994] رسالة من أحد طلبتي وهو إبراهيم لوني سي، الذي يدرس في ثانوية ذراع الميزان، أخبرني أنهم يحضرون كتاباً عني في معهد التاريخ وأنهم قد كلفوه بكتابة كلمة عني فاخترني كباحث... وهذه مفاجأة لا أدري إن كانت ستم. نعم يا شيخ الكرام تمت وطبع الكتاب بعناية وتنسيق الدكتور ناصر الدين سعيدوني، ببيروت، دار الغرب الإسلامي، [دراسات وشهادات مُهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله] 2000/598 صفحة. كما أخبره لوني سي بوفاة المناضل حسين حول وعبد الرحمن العقون وبعض المثقفين الذين تحصدتهم الفتنة الحاضرة كما عبر

مضي 14 سنة على اكتشافي لهذه الفتوى يكتب صديقي الباحث إبراهيم لوني سي في هامش رقم 2 قوله وهو يشير إلى فتوى كومون: "لم يذكر أحد من الباحثين أنه عثر على النص الأصلي لهذه الفتوى، إلا أننا نلاحظ أثر حركة هجرة الجزائريين إلى سوريا والمشرق سنة 1893، ثم أحال على كوبولاني، وهو مصدر شيخه سعد الله. والحقيقة أن صديقي يملك الكتاب على الأقل في طبعته الأولى.

راجع، إبراهيم لوني سي، الاستشراق الفرنسي ودراسة المجتمع الجزائري وإعادة تشكيله [بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي]-، الجزائر، دار هومة، 2013م. ص: 177. راجع المجموعة الأولى/فتوى قورارة: النص العربي الأصلي، وعلقت في الهامش على هذا النص الخطي قلت: أعتقد أنني أول من ينشر- النص العربي الذي يهتم أنه قد جاء به الصحفي جيفري كورتيلمون، صاحب رحلة إلى الحجاز الذي يشير إليه شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله، محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق، ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة، بيروت، دار ابن كثير، 2007م. ص: 320.

(29) كان شيخ المؤرخين في قمة السعادة وهو يلتقي أمله وطلابه بعد غربة طويلة ومن بين الأشياء التي أتخفنا بها، فقد أعلمنا بإصداره الجديد وهو كتابه الشهير تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول المعلم بنجمتين ليفرق بينه وبين الجزء الأول المعلم بنجمة واحدة، وكنت أجلس إلى جانبه، فتصفح فهرس الأعلام فعثرت على اسم تبسة، فتبعت ما يقول عنها أثناء حركة محي الدين بن الأمير عبد القادر الذي حاول اقتحامها ليجعل منها عاصمة لثورته، ووجد النصر من أولاد خليفة والعلامة، والبرارشة وأولاد سيدي عبيد، وأولاد رشاش، وأخذ يخطط للاستيلاء على بلدة الشريعة، وكان قد رسمها في هذه الطبعة بـ "الشريعة"، فقلت له إن هذه البلدة ترسم بأل التعريف، لكن لم أنتبه إلى الأخطاء ومو يترجم أسماء العائلات والقبائل والأعراس التي بقيت على حالها لعل الناشر يتدارك هذا الأمر الذي أشرت إليه ونهت من يقوم على إعداد الأعمال الكاملة مثل الدكتور محمد العربي معريش. راجع، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900/1860 الأعمال الكاملة، المجلد السادس، الجزء الأول، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000م. ص: 213.

(30) تعرفت على الأستاذ لحسن بن علجية في حدود 2007م/2008م يوم كنا نتساجل مع الباحثين الجزائريين في قناة المستقلة حول الأمير عبد القادر والحركة الإصلاحية الجزائرية، ثم أرسل لي كتابه القيم الموسوم بـ "العلامة عبد السلام بن عبد الرحمن السلطاني، حياته وآثاره المطبوع

(37) الفاهم ياسر أي مبالغة في الفهم وياسر في الداريجة الجزائرية شديد أو كثير الفهم.

(38) طبع هذا البحث في الكتاب التكريمي، كما نُشر مرة أخرى في كتابي دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي في طبعته الأولى عام 2006م وأمديته إلى الدكتور سعد الله عن طريق الأستاذ المرحوم إبراهيم مياي، كما طبع المقال ضمن كتابي الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشايبة في طبعته الثانية عام 2007م.

(39) طبع آخر السرب على مطابع دار الغرب الإسلامي لصاحبها الأستاذ الحبيب اللمسي، بيروت عام 2005م.

(40) سأني يوماً "أبو مالك محمد علي ميسو" حفظه الله صاحب دار ابن كثير العامرة عن عدد أولادي وكنت آنذاك مع واحد من طلبتي وهو الأستاذ مهدي صادق، صاحب مكتبة عبد الحميد بن باديس بالضاحية العاصمة الشهيرة "باب الواد"، ليسلمني الطبعة الثانية من كتابي المطبوع حديثاً ببيروت عام 2007م، قال يا دكتور كم عدد أولادك فقلت له، أما أولادي من صليبي فثلاثة، بنتان وولد، وأما أولادي من بنات أفكاري فعشرة [آنذاك] أجلهم عندي: "المدخل إلى السيرة النبوية والخلافة الراشدة" والثاني "تاريخ الجزائر المعاصر"، فأعجبه الإطراء، ووعدي بطبعة ثالثة مجلدة، يُصحح من خلالها الأخطاء الفنية التي وقع فيها صاحب المطبعة ومذا حينما أمل فنيات برمجة المطبعة على نظام طبع الجداول الواردة في الكتاب. فقد قام الناشر بطبع الجداول وألصقها في مكانها بطريقة فنية رائعة.

(41) أرسلت إلى شيخ المؤرخين عن طريق زميلي المغفور له بإذن الله إبراهيم مياي (1947م/2010م) كتابي تاريخ الجزائر المعاصر في طبعته الأنيقة الثانية وكتابي: "دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي" الذي احتوى على دراسات مطولة حول أعمال سعد الله نفسه، وكتابي نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، وأظن أنني أرسلت له فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، المطبوع أيضاً عند ناشري الأول الذي طبع كتابي الشيخ محمد بن عمر العدواني، في طبعة متواضعة، كما أرسلت له في وقتها في حدود نهاية 2007م، الطبعة الأنيقة لكتابي "الشيخ محمد بن عمر العدواني" وكتاب "الجزائر في باندونغ"، والكتابان مطبوعان بجيجل [الجزائر] طبعة أنيقة، كما أشرت إلى ذلك سابقاً.

(42) كانت الترتيبات تقتضي تكريم الأستاذ المؤرخ موسى لقبال، وهو ما أخبرني به في وقتها كل من الدكتور رأس المال عبد العزيز مدير الثقافة الإسلامية، بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سابقاً، والأستاذ مسعود كواتي، من جامعة غرداية، ومما معاً من اللجنة العلمية إضافة إلى الأستاذة المذكورين في كتاب الملتقى، وكان حضور شيخ المؤرخين قد أثار فرحة

سعد الله، راجع لسان قلم، الجزء السادس، ص: 460/145/85/77/58/57.

(33) لن أنسى اللقاء العلمي والودي الذي جمعنا نحن الأساتذة (محمد الأمين بلغيث، مسعود كواتي، إبراهيم مياي [رحمه الله]) بالشاعر خفيف الظل والعالم المتبصر - محمد الطامر التليبي [16 رمضان 1424هـ/11 نوفمبر 2003م] ببيته يوم 10 أكتوبر 2001م، [رحمه الله] وقد طلب مني (كاتب هذه السطور) قراءة ديوانه الأخير، وكلما تلعمت في قراءة شعره إلا وأدركني بذاكرته القوية مُصَحِّحاً القواعد والنحو بصورة رائعة، وكلما طلبنا منه نسخ قصيدة أو رسالة كان دوماً يتحجج فيقول بعد موتي، أو أن نسخة أصلية عند بلقاسم (وبلقاسم في حديثه هو شيخ المؤرخين سعد الله رحمه الله). راجع حياته وآثاره/الدكتور إبراهيم رحمان، الشيخ محمد الطامر التليبي، جهوده في البحث الفقهي والإفتاء الجزائر وادي سوف، مطبعة سخري، 2011م.

(34) كان الشيخ الطامر التليبي من أصفياء شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله، يرد اسمه كثيراً في أعماله بل قال لنا لقد نزع من يديه نزعاً هذا الديوان "الدموع السوداء". وطبعها الدكتور في وقتها فعرفنا قيمة هذا الكنز المدفون الذي عاش على الهامش لكنه أصبح مركزاً من خلال ورود اسمه كثيراً لدى سعد الله المحقق والمؤرخ الموسوعي. كما كان سعد الله يستعين بما أشكل عليه ومذا بالاتصال بالشيخ عبد المجيد بن حبة، والشيخ المهدي البوعبدلي والشيخ أمقران السخوني، وكان يؤرخ لاتصاله بهم في كتبه أو في لسان قلم.

(35) للأمانة وللتاريخ وللله سبحانه وتعالى، نعم نصحني شيخ المؤرخين أن هذه الملتقيات لا تنفع، بل هي مضيعة للوقت، ولكن أنا أقول للحقيقة، أن هذه الملتقيات هي التي عرفني أولاً بهذا الوطن الكبير وهو دولة بحجم قارة، وعرفت التنوع السكاني والجغرافي وشخصية هذا الإنسان الذي قهر فرنسا الاستعمارية، كما تعلمت في هذه الملتقيات أن الناس معادن كما يكرر شيخ المؤرخين، حينما خاب ظنه في إنسان يعتبره من أعز أبنائه.

(36) لعل شيخ المؤرخين بقوله ها قد كشفت عن ساقها، وهي أطروحة كبيرة في مجلدين من 1270 صفحة، خضراء تسر - الناظرين فقال وكشفت عن ساقها، ربما متمثلاً وهو الحافظ لكتاب الله سبحانه وتعالى قوله تعالى: قوله تعالى: [قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي - وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] النمل: 44.

بوصفصاف، والأستاذ محمد الهادي الحسني، والدكتور عبد الرزاق قسوم،
والعبد الضعيف [محمد الأمين بلغيث] و[ح] 13 حلقة حول الرئيس الراحل
هواري بومدين، وكانت بيني وبين الدكتور إبراهيم لونيبي، وأما الحلقة
الأولى فقد سجلتها وأنا بدمشق الفيحاء، وكانت معي في الحلقة وعلى
المباشر السيدة حرم الرئيس. وكان المحاور مدير القناة الدكتور الهاشمي
الحامدي، أما بقية الحلقات فقد أدارها الإعلامي الجزائري التقدير [محمد
مصدق]، ثم بعد ذلك الإعلامي [شيخي توفيق].

(46) الدكتور عبد اللطيف بالطيب أصيل خنقة سيدي ناجي، ولابة
بسكرة، باحث متخصص في الرياضيات وعلى درجة عالية من الوعي
صاحب ثقافة موسوعية، شاركنا معظم حلقات الأمير والحركة
الإصلاحية من أستوديو قناة المستقلة بلندن وكان بيني وبينه انسجام
كبير ورؤى مشتركة، والتقينا بعد ذلك بالجزائر العاصمة وبمدينة
بسكرة، وهو أستاذ باحث في اسكتلندا، ثم انتقل العام الماضي إلى مدينة
جبيل بالمملكة العربية السعودية. [2012م].

(47) راجع، أبو القاسم سعد الله، الخوف من التاريخ [أبحاث وآراء في
تاريخ الجزائر، الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله، رقم.
10، المجلد الثاني [3-4-5]، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005م. ط.
2 ص: 13.

(48) أثبتت هذه القضية في ملتقى النوازل والتاريخ المنعقد بجامعة
المسيلة، في 18 و19 نوفمبر 2013م [في جلسة خاصة] وكان المتحدث قد
أشار إلي شخصياً، مذكراً بأني اقتحمت مجال الرامن والتاريخ الحديث
رغم تخصصي في التاريخ الإسلامي الوسيط وهذا في جلسة حميمية مع
المؤرخ المغربي المتميز إبراهيم القادري بوتشيش، فقال له: التاريخ
حلقات متواصلة، فمن لا يحسن تتبع هذه الحلقات، فعليه أن يترك
الأمر لأهلها، وهو نفس الكلام الذي كتبه شيخ المؤرخين أبو القاسم
سعد الله رحمه الله قبل هذا الموعد بثلاثة عشر سنة، كما هو ظامر
في رسالته إلى كاتب هذه المواقف.

(49) حضرت ندوة المؤسسين لاتحاد المؤرخين، في زرادة سنة 1994م،
فقد دعيتي لجنة التنظيم للمشاركة في الانتخابات فجئت رأساً من
باريس وتمكننا من انتخاب اللجنة المديرة، فكان الأمين العام يوسف
مناصرية، والمكلف بالثقافة والنشر والمجلات مسعود كواقي، ولكن
شهر العسل لم يدم طويلاً، فأنهى من أراد لهم الأمين العام أن
يساعدوه في إدارة الاتحاد الود الذي كان بين جيلنا من المؤرخين
الطموحين على درب الكبار، وسلم ناصيته إلى مرديده أو من اعتقد
أنهم عنصر تجميع فصدق فينا جميعاً قول الحكيم الشاعر: علمته
الرمية كل حين... فلما اشتد ساعده رماني.

عارمة عند المنظمين والمشرفين فكان الشخصية الأولى في الملتقى دون
منازع.

(43) الدليل الذي يبرئ شيخ المؤرخين من سفاسف الأقوال قوله: ما
تزال اليوميات مستمرة، [لسان قلم] ومادة الجزء السادس بصدد الإعداد،
وقد كتبها أثناء محنة الجزائر، ولا أدري بأي تاريخ ستنتهي اليوميات
كاملة وعندما تكتمل وبنقضي أجل صاحبها فقد تصل إلى عشرة مجلدات،
وأخيراً أكرر ما قلت في المقدمات السابقة وهو أنني أطلب العفو ممن جاء
ذكروهم في اليوميات بتعبير ظريفي وحكم قد يكون متسرعاً، وليس استنتاجاً
صادراً بعد دراسة وروية، ومن طبعي أنني لا أسئ إلى أحد حتى للذي أساء
إلي، نعوذ بالله من نزعات الانتقام ومن نزغات الشيطان، قال شيخ المؤرخين
هذا الكلام الجميل في مقدمة الكتاب المؤرخة في 06 مارس 2010م. طبع
المجلد السادس في حياة المؤلف، والجزء السابع هو قيد الإعداد وقد أكد لنا
صاحب دار المعرفة هذا الأمر.

(44) سجلت بببتي ما يقارب الأربع ساعات لحساب قناة الجزيرة
الوثائقية، مع فريقها بباريس والمتعاون معها نور الدين بزويو، هكذا
قدم نفسه، واتفقت مع الفريق على أجري المادي، فوعدني الصحفي
الجزائري المقيم بباريس بهذا بعد المونتاج والتسجيل وقد بثت مجموعة
من الحلقات في برنامج أرفيهفهم وتاريخنا، وقد حاولت الاتصال بهم مراراً
ويبدو أن حقي سقط بالتقدم، ولا تزال هذه الحلقات تُبثُّ إلى اليوم. ، وهو ما
أثار حساسية الذين يقولون ولا يعملون، ويزعمهم أن يعمل الآخرون، كما
قال زميلي مسعود كواقي في كتابه تاريخ الجزائر المعاصر، وقائع ورؤى،
المطبوع بدار هومة للنشر، عام 2011م.

(45) أنا أدين إلى هذا القناة بانتشار اسمي بين المشاهدين على الأقل في البلدان
التي وجدت فيها معارف واتصالات وتدخلات، ومنها مصر، تونس ليبيا،
المغرب الأقصى- المملكة العربية السعودية، فرنسا، بلجيكا. والجزائر
خاصة.

وقد قدمنا للقناة ما يزيد عن سبع وسبعين ساعة بث هي كما يلي: [أ] 37
حلقة خاصة بتاريخ الأمير عبد القادر [تدخل في حلقاتها كل من العبد
الضعيف [محمد الأمين بلغيث]، والدكتور عبد اللطيف بالطيب من
أستوديو القناة بلندن، الدكتور المغفور له بإذن الله إبراهيم مياسي، الأستاذ
مديني بشير، وتدخل الأستاذ [خلدون مكي الحسني] ممثل أسرة الأمير عبد
القادر وفرعها العلمي بدمشق، فك الله أسره، وتدخل في 12 حلقة، وتدخل
معنا واحد من ممثلي الطريقة التجانية وهو محمد الحبيب التجاني والأمانة
كان خلدون مكي إذا بدأ محمد الحبيب التجاني يتكلم بقطع الهاتف].؟
[ب] 27 حلقة خاصة بالحركة الإصلاحية وإمامها العلامة الشيخ عبد
الحמיד بن باديس، وتدخل في حلقاتها عبر الهاتف الدكتور عبد الكريم

⁽⁵⁰⁾ هذا مثل قاله أسلافنا في وقته للتنبئ به إلى قاعدة مشهورة: " من استعجل الأمر قبل أوانه عوقب بحرمانه ". كما أنها تستنكر التسرع في اتخاذ المواقف العاطفية قبل الاستعداد لها وأخذ الاحتياطات الواجب، ولا يعني هذا الموقف تردد الناس عن فعل الخير أو المبادرة به، لكن من جانب آخر فقد خذلت العائلات الأرستقراطية الثوار كما أبرزها المؤرخ يحيى بوغزير في كتابيه، ثورة الشيخ الحداد ومحمد المقراني وموقف العائلات الأرستقراطية.

⁽⁵¹⁾ سوف يظهر هذا المقال بإذن الله ضمن كتابي قضايا ومواقف في الأدب والتاريخ المجلد الثاني عشر ضمن أعمالي غير الكاملة.

⁽⁵²⁾ أتذكر أن هذا اليوم كنت على موعد مع الدكتور محمد عبد الحليم بيثي للذهاب إلى المطار هواري بومدين بالجزائر العاصمة لاستقبال الدكتور عبد الكريم الماجري القادم من الشقيقة تونس للمشاركة في ملتقى بجامعة مستغانم، وهو صاحب الكتاب القيم، هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانية إلى تونس، 1937/1831م، المطبوع بتونس عام 2010م والذي تعرفت عليه في ملتقى الذكرى الحسين لجلاء القوات الفرنسية على ميناء بنزرت. بمركز الأرشيف الوطني التابع للوزارة الأولى التونسية.

⁽⁵³⁾ بينما كنا نتبادل الحديث قال لي مرافقي مراد مسعودان لماذا لا نخصص حلقة من هذه الحلقات الإذاعية وهذا بإجراء حوار طويل مع شيخ المؤرخين الجزائريين الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله. لكن مراد لا يعلم أن شيخ المؤرخين يتحرج كثيراً من وسائل الإعلام، وكان هذا كما نبهني مرافقي يوم 27 نوفمبر 2013م، أي أربعة أيام قبل سفري إلى بيروت للمشاركة في احتفالية كبيرة أقامتها قناة الميادين بمناسبة الذكرى التاسعة والخمسين لاندلاع الثورة الجزائرية المباركة.

⁽⁵⁴⁾ توحشناك يا أستاذ لهجة جزائرية دارجة على ألسنة الجزائريين بمعنى اشتقنا لكم كثيراً.

⁽⁵⁵⁾ لمرأتكم من زيارته لكنني قلت لأخي مديني بشير، قبل سفري إلى بيروت الأستاذ بألف خير وسوف يمد الله في عمره حتى يستكمل مشروعه الثقافي، والله شاهد على ما أقول.